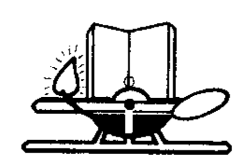
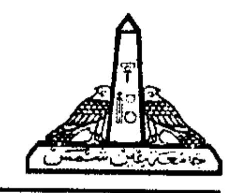




أعلام من كلية الآداب

أ.د. مهدى عــلام

كلية الآداب - جامعة عين شمس

الفهرس

***

تقديم

تهتم كليـة الآداب بجامعـة عين شمس بتجـديد التواصل العلمي بين أعـلام الأسـاتذة الذين توالـوا على الإسـهـام فى بناء صـرحـهـا العلمي، جيـلاً بعد جـيل والهدف من ذلك تذكيـر الأبناء من طلاب العلم فى الكليـة بالإسهـام العلمي للأساتذة المـؤسسين في مـجالات تخصـصاتهم المختلفـة، تشجيـعاً لهم على المتـابعة والاقتـداء بهؤلاء الأعلام.

لقد رأت إدارة الكلية فى هذا تعبيراً عن الوفاء لهؤلاء الآباء الذين لا ننسى فـضلهم وإذا كان هذا من الوفـاء الروحى لتراثهم، فـإنه من جـهة أخـرى من التـقـدير العلمي لهـذا التـراث. إنه إيمان بأن هؤلاء الرواد باقـون بيننا بما قدمـوا للعلم والوطن ولأبنائه فى جـامعـة عين شمس ما نفخر به جميعاً على مر الزمان.

من أجل ذلك فإنه تجديداً للذكرى، ودعـماً لهذا التواصل العلمي المأمول يقيم مركز الدراسات الإنسانيـة والمستقبليات فى كلية الآداب بجامعة عين شـمس سلسلة من الندوات الدورية تحت عنوان « أعلام فى كليـة الآداب » تتناول العطـاء العلمى، والإنجـاز الفكرى لبـعض أساتذتهـا الذين أسهـموا إسهـاماً واضحـاً فى بناء صرحـها العلمى، وكـانوا رواداً لهم شـأنهم فى تـخـصـصهـم، وقـد تواصل عطاؤهم

العلمي جيلاً بعد جيل في تلاميذهم الذين حملوا الراية من بعدهم.

وقد رأت اللجنة المختصة بفضل توجيه أ.د. محمد عبد اللطيف هريدي عميد الكلية، وتأييده لنشاط هذه الندوات في تكريم هؤلاء الأعلام، أن تنشر علي طلاب المعرفة المادة العلمية التي قدمت في هذه الندوات ترجمة للأساتذة المحتفى بهم، وتحليلاً لمناهجهم العلمية، وآفاقهم المعرفية.

وتأمل اللجنة أن تقدم بهذا للأبناء نماذج خالدة من المثل العليا في المثابرة والاجتهاد والإخلاص للعلم والوطن والمستقبل.

إن تخليد الذكرى بهذا الذى ننشره اليوم عنهم إنما هو فى جوهره تقدير لمعنى الوفاء لتراثنا العلمي، ولأجيال سابقة من علماء مصر الذين أسسوا صرح المعرفة فى جامعة عين شمس منذ إنشاها سنة ١٩٥٠ .

تحية للقارئ الكريم فى كل مكان، وندعوه أن يسهم معنا فى تطوير هذا الجهد المتواضع فى تجديد معنى التواصل والوفاء لأجيال سابقة من علماء مصر.

اللجنة

المقـــــرر : أ.د. عفت محمد الشرقاوى

أمانة اللجنة : السيدة رجاء الوكيل

رئيس مركز الدراسات الإنسانية والمستقبليات

أ.د. محمد سيد خليل

وكيل الكلية للدراسات العليا والبحوث

برنامج الندوة

تسجيل الأسماء من ١٠,٠٠ : ١٠,٣٠

الجلسة الافتتاحية

يقدم البرنامج د. أحمد مجاهد

- القرآن الكريم
- كلمة مقرر اللجنة : أ.د. عفت الشرقاوى
- كلمة وكيل الكلية للدراسات العليا : أ.د. محمد سيد خليل
- كلمة عميد الكلية : أ.د. محمد عبد اللطيف هريدى
- كلمة الأسرة : أ. ثريا مهدى علام

  د. حسام مهدى علام
- كلمة الخريجين : د. طارق شلبى ، د. ناصر وهدان

حفل شاى من ١١,٠٠ : ١١,٣٠

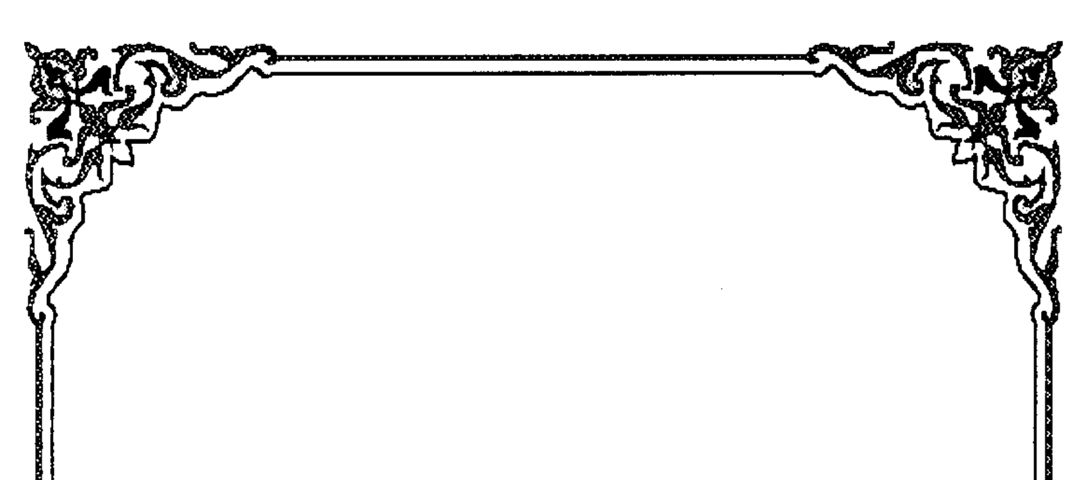
الجلسة الثانية من ١٢,٠٠ : ٢,٠٠

رئيس الجلسة : أ.د. إبراهيم عبد الرحمن

أ.د. ثناء أنس الوجود	كلمة القسم
أ.د. عاطف جودة	وفاء الشعر
أ.د. إبراهيم عبد الرحمن	الدرس الأدبى فى منهج مهدى علام
أ.د. كمال بشر	مهدى علام فى المجمعيين
د. محمد الطاووسى	مهدى علام فى صحبة المتنبى
أ.د. عفت الشرقاوى	مهدى علام مع القرآن الكريم
د. محمود الجريدلى	الفكر التربوى فى منهج مهدى علام

توصيات الندوة

***



أعلام من كلية الآداب

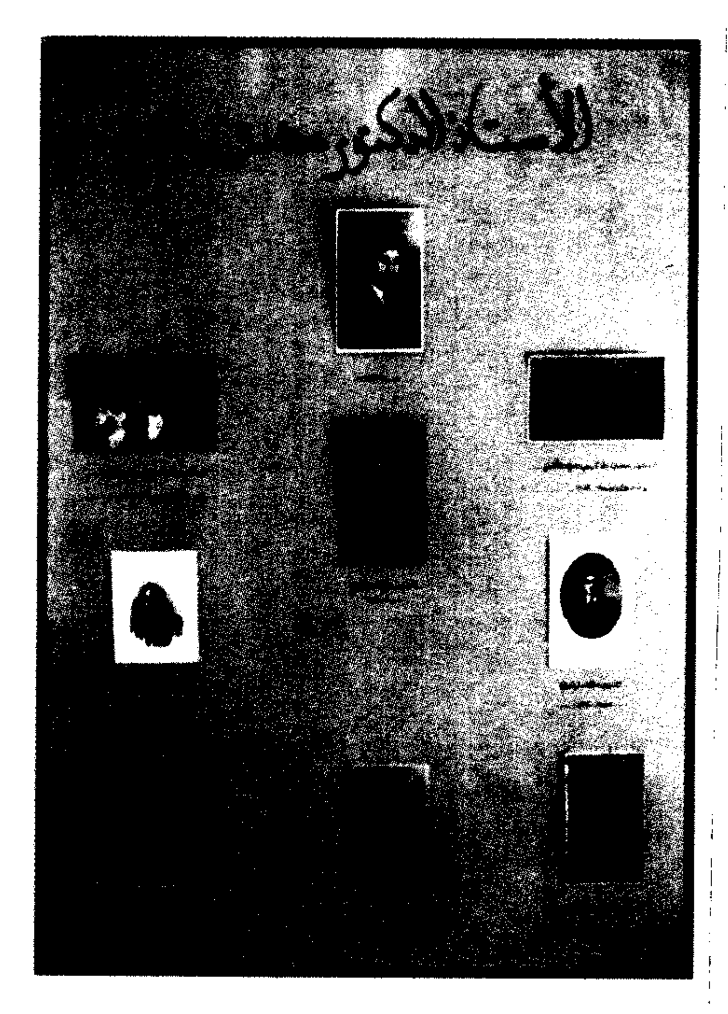
تكريم ذكرى

أ.د. محمد مهدى علام

بسم الله الرحمن الرحيم

محمد مهدى علام «سيرة ذاتية»

١٩٠٠ - ١٩٩٢



الدكتور محمد مهدى علام (اسم الشهرة : مهدى علام) من مواليد ٣ أكتوبر سنة ١٩٠٠ بالقاهرة. تلقى دراسته الابتدائية بمدرسة جوهر اللاله، والدراسة الثانوية بمدرسة عثمان باشا ماهر. ثم تقدم لامتحان المسابقة للقبول بدار العلوم فى نوفمبر سنة ١٩١٦، وكان أول الناجحين. وبدأ الدراسة بدار العلوم من يناير ١٩١٧ (كما كان نظام المستر دنلوب مفروضاً عليها عندئذ). وتخرج فى يونيه

سنة١٩٢٢، فأرسل فى بعثة علمية إلى إنجلتره، فاستكمل دراساته العليا : الأدب الإنجليزى، واللغة العبرية، واللغة الفارسية، واللغة الألمانية، وعلم النفس. وحصل فى هذه الدراسات على دبلومات عالية، وعلى درجة الدكتوراه.

قام بالتدريس فى كلية دار العلوم، وفى قسم التخصص بجامعة الأزهر (١٩٢٨ - ١٩٣٦) وفى جامعة مانشستر (١٩٣٦ - ١٩٤٨)، وفى قسم الدراسات العليا لشعبة اللغة الإنجليزية بكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر (١٩٦٢ - ١٩٨٣). وكان أستاذاً للنقد الأدبى بالمعهد العالى للتمثيل (١٩٥٢ - ١٩٥٧).

وأسهم فى إنشاء كلية الآداب بجامعة عين شمس سنة ١٩٥٠ وشغل فيها كرسى الأستاذية للغة العربية وآدابها، وكرسى الأستاذية للغة الإنجليزية وآدابها، وكان عميداً للكلية ٧ سنوات (١٩٥٤ - ١٩٦١) وحين بلغ سن التقاعد عين أستاذاً غير متفرغ بها، وظل يمارس عمله هناك فى محاضراته عن اللغة العربية لليسانس، وفى محاضراته عن اللغة الإنجليزية والترجمة للدراسات العليا، حتى سنة ١٩٩٢.

وقد أشرف على عديد من رسائل الدراسات العليا فى الأدب العربى والأدب الإنجليزى، للماجستير وللدكتوراه.

وكان عميداً لمتفتشى اللغة العربية بوزارة المعارف (١٩٤٨ - ١٩٥٠)، كما كان رئيساً منتدباً لقسم اللغة الإنجليزية بمدرسة الألسن عند إعادة افتتاحها (١٩٥١-١٩٦٣). وعين رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (١٩٦٢-١٩٦٤)، ثم عين مستشاراً لوزارة الإرشاد القومى (الثقافة) ١٩٦٤ - ١٩٦٩، وكان مستشاراً للمؤتمر الإسلامى (١٩٥٦ - ١٩٦٢)؛ وكان عضواً بالمجلس الأعلى لدار الكتب (دار الوثائق القومية) من سنة ١٩٤٩ لأكثر من عشرين عاماً.

كان رئيساً لتحرير مجلة «حوليات كلية الآداب» لجامعة عين شمس (١٩٥٠-١٩٦١). كما كان نائب رئيس التحرير لصحيفة دار العلوم (١٩٣٤ - ١٩٣٧).

وكان عضواً فى لجان الفحص للإنتاج العلمى لترقية الأساتذة المساعدين والأساتذة، فى لجان اللغة العربية، واللغة الإنجليزية، لمدة عشرين سنة.

وكان عضواً مؤسساً لمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر من سنة ١٩٦١، ومقرراً للجنة إحياء التراث الإسلامى فيه. وقد عين عضواً بمجمع اللغة

العربية بالقاهرة فى إبريل سنة١٩٦١، وانتخب أميناً عاماً له فى ٤/ ٤/ ١٩٧٧ ثم انتخب نائباً للرئيس فى ديسمبر ١٩٨٣.

وكان عضواً مؤسساً للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب (ثم للعلوم الاجتماعية) منذ إنشائه سنة ١٩٥٦ إلى أن حل محله المجلس الأعلى للثقافة، وكان مقرراً فيه للجنة الدراسات الأدبية. وكان عضواً فى المجلس الأعلى للثقافة، ومقرر لشعبة الآداب فيه، وعضواً المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وعضواً بالمجلس القومى المتخصص للثقافة والأدب والإعلام، وعضواً بالمجمع العلمى المصرى.

النشاط المجمعى :

عين الدكتور مهدى علام عضواً بالمجمع، ضمن العشرة الذين عينوا فى سنة ١٩٦١ بمناسبة زيادة عدد الأعضاء، وتعديل قانون المجمع. ومن كلماته ما يأتى :

١ - ألقى كلمة نيابة عن هؤلاء الأعضاء، رداً على كلمة الدكتور إبراهيم مدكور فى استقبالهم. (د ٢٧ جلسة ٢٢ للمجلس - المجلة ج ١٥ ص ١٢٥).

٢ - ترجمة فورية لكلمة الأستاذ محمد فريد أبو حديد فى تأبين المرحوم

الأستاذ محمد شفيق غربال، إلى الإنجليزية (د ٢٨ جلسة ١٠ للمجلس - المجلة ج ١٥ ص ١٥٩).

٣- ترجمة فورية لكلمة الأستاذ توينبى فى تأبين المرحوم الأستاذ محمد شفيق غربال، من الإنجليزية إلى العربية (د ٢٨ جلسة ١٠ للمجلس - المجلة ج ١٥ ص ١٦٢).

٤- دراسة عن الإنتاج الأدبى الفائز بجائزة فى الدورة التاسعة والعشرين (د ٣٠ جلسة ٥ للمجلس - المجلة ج ١٨ ص ١٥٥).

٥- كلمة فى استقبال الدكتور أحمد البطراوى عضو المجمع (د ٣٠ جلسة ٢٨ للمجلس).

٦- كلمة فى تأبين المرحوم الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت (د ٣٠ جلسة ٣١ للمجلس).

٧- كلمة فى تأبين المرحوم الأستاذ أحمد حسن الزيات (المجلة جلسة ٢٤ ص ٣١٢).

٨- كلمة فى تأبين المرحوم الأستاذ حامد عبدالقادر (المُجلة ج ٢٢ ص ٢٤٢).

٩- كلمة فى استقبال الأستاذ بدر الدين أبو غازى (المجلة ج ٣٥ / ١٤٩).

١٠- كلمة فى استقبال الدكتور مجدى وهبة عضو المجمع. (المجلة ج ٤٥ ص ١٣٦).

١١- دراسة عن الإنتاج الأدبى الفائز بجائزة المجمع فى الدورة الثلاثين (د ٣١ جلسة ٧ للمجلس).

١٢- دراسة عن الإنتاج الأدبى الفائز بجائزة المجمع فى الدورة الحادية الثلاثين (د ٣٢ جلسة ١٤ للمجلس).

١٣- المجمع بين مؤتمرين (المجلة ج ٤٣/ ١١).

١٤- من مكتبتى (المجلة ج ٤٤/ ٥).

١٥- المجمع بني مؤتمرين (المجلة ج ٤٥/ ١١).

١٦- استقبال الدكتور ناصر الدين الأسد (المجلة ج ٢٠/ ٢٢٧).

١٧- دراسة عن الدواوين الفائزة فى جائزة الأدب (المجلة ج ٢٠/ ٢٢٧).

١٨- دراسة عن جوائز الأدب الفائز (المجلة ج ٢١/ ٢٠٣).

١٩- دراسة عن الإنتاج الأدبى الفائز بجائزة المجمع (المجلة ج ٢٣/ ١٣١).

٢٠- تأبين المرحوم الأستاذ زكى المهندس نائب رئيس المجمع . (المجلة ج ٣٨/ ١٦٣).

٢١- تأبين الفقيد الأستاذ هـ. أ. ر. جب (الجلسة ٢٤ فى ٢٨ فبراير ١٩٧٢ المجلة ج٢٩ص ٢٩٦).

٢٢- «المتنبى بين نفسيته وشاعريته» (المجلة ج ١٥/ ١٥).

وكان للدكتور مهدى علام نشاط موصول في مجلس المجمع، ومؤتمره، ولجانه، فقد كان مشرفاً على مجلة المجمع، ومقرراً للجنة المعجم الكبير، ومقرراً للجنة الأدب، ومقرراً للجنة التُراث، ومقرراً للجنة الأصول، وعضواً فى لجنة الطب، ولجنة الهندسة.

وأهم مؤلفات الدكتور علام :

فلسفة العقوبة، فلسفة الكذب، فلسفة المتنبى، المتنبى بين نفسيته وشاعريته، العفو فى القرآن - نظرية جديدة (بالعربية والإنجليزية)، مقصورة حازم القرطاجنى (تحقيق)، نظرية فى نشأة فن «المقصورة» فى الأدب العربى، تربية الشباب فى الإسلام (العربية والإنجليزية)، الصدقة فى الإسلام (نظرية جديدة - فى غير الزكاة - بالعربية والإنجليزية)، نظرية الوسط بين فلاسفة اليونان وفلاسفة المسلمين، رفاعة الطهطاوى، عائشة أم المؤمنين، نثر حفنى ناصف (بالاشتراك)، المطالعة الوافية للمدارس الثانوية - جزآن (بالاشتراك)، النقد والبلاغة - جزآن (بالاشتراك)، قواعد اللغة العربية : النحو، الصرف، المعانى، البيان،

البديع - ٧ أجزاء (بالاشتراك)، أحمد حسن الزيات، جوزف لندن سميث : الرجل والفنان (بالعربية والإنجليزية)، بين اليراع والقرطاس، الروح الثورية لبرناردشو (بالإنجليزية)، مجمع اللغة العربية فى ثلاثين عاماً (المجمعيون : المائة الكرام)، دراسات أدبية، مراجعة لترجمة كتاب «علم الاجتماع» تأليف الدكتور موريس جنز برج، ترجمة الدكتور فؤاد زكريا، «فرعون والنسر» أو «عودة المجد» ملحمة بالشعر العربى، ترجمة للملحمة الإنجليزية من شعر السيدة ثريا مهدى علام، نشر مكتبة لبنان، «السلام الذى أعرفه» ترجمة بالشعر الإنجليزى لهذه القصيدة الطويلة لمحمود حسن إسماعيل، مراجعة ترجمة دائرة المعارف الإسلامية والتعليق على آراء المستشرفين فى الأجزاء التى صدرت من سنة ١٩٤٩ حتى سنة ١٩٦١ . مراجعة التحقيق والتقديم بمقدمات علمية للكتب الآتية من مطبوعات المجتمع :

التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، للصاغانى ج ٣ وج ٦.

. التكملة والذيل والصلة لما فات صاحب القاموس من اللغة. للزبيدى - ج ١ و ج٢.

كتاب الجيم للشيبانى - ج ٢.

كتاب الأفعال للسرقسطى - ٥ أجزاء.

كتاب الشوارد، أو ماتفرّد به أئمة اللغة، للصاغانى.

كتاب شرح شواهد الإيضاح لأبى على الفارسى - تأليف ابن بَرّى.

ثم نحو مائة مقالة وبحث فى المجلات والدوريات العربية.

ومئات من الإذاعات من سنة ١٩٤٩ بالعربية والإنجليزية.

وله شعر منشور فى المجلات - بالعربية وبالإنجليزية.،



وهو حاصل على جائزة الدولة التقديرية فى الآداب (١٩٧٦).

وحائز لوسام الجمهورية من الطبقة الثالثة (١٩٥٦)، وسام الجمهورية

من الطبقة الثانية (١٩٧٧)، ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى (١٩٨٣).

وقد مثل مصر فى عدة مؤتمرات، رئيساً لوفدها : في جميع المؤتمرات التى عقدت لحركة التضامن الأفريقى - الأسيوى، وحركة عدم الانحياز، والحياد الإيجابى - فى مختلف بلاد العالم - من سنة ١٩٥٧ حتى سنة ١٩٦٣، ولوفد مصر لمؤتمر حقوق التأليف المنعقد فى تونس ١٩٧٦، ولمؤتمر الأدباء العرب فى الكويت والعراق، وفى الندوة الإسلامية العالمية التى عقدت فى لاهور فى باكستان ١٩٥٨ حيث كان هو المتحدث الرسمى باسم مصر.

وأول مؤتمر حضره خارج مصر بعد الثورة كان مؤتمر الخريجين فى الأردن سنة ١٩٥٤.

وفى سنة ١٩٤٥ مثل الحكومة السعودية (منتدباً من الحكومة المصرية) فى أول اجتماع للأمم المتحدة فى لندن لتأليف هيئة اليونسكو.

وأداء للأمانة التاريخية، واستجابة لبعض الخلصاء الذين رأوا أن السكوت عن هذه الأحداث إخفاء لجزء من التاريخ من حق القراء أن يعرفوه، قرر صاحب هذه الترجمة، بعيداً عن تزكية النفس، ومشهداً ربه تعالى على تحرى الصدق :

أولاً : أنه إبان ثورة ١٩١٩ كان العضو الممثل لدار العلوم فى لجنة المدارس العليا التى كانت تعمل فى سرية تامة لتغذية الروح الوطنية في الشعب. وأنها كانت على اتصال سرى بالمرحوم عبدالرحمن بك فهمى السكرتير العام للجنة الوفد المركزية(*)، وأنها عن طريقه كانت تتلقى توجيهات الرئيس سعد زغلول (وهو فى باريس مع سائر أعضاء الوفد)، وأن هذه اللجنة هى التى كانت تصدر المنشورات السرية، تكتبها وتطبعها وتكل لأجهزة خاصة توزيعها فى أنحاء البلاد. إن كتابة المنشورات (وكذلك الجريدة السرية التى كانت تسمى «المصرى الحر»)(**) كانت بقلم اثنين من أعضاء هذه اللجنة - مع الاتفاق على موضوعها - وهما المرحوم عبدالعزيز عز العرب مندوب مدرسة المهندسخانة، ومهدى علام، مندوب دار العلوم.

* - كان الاتصال المباشر بين اللجنة والمرحوم عبدالرحمن بك فهمى فى منزله الذى مازال قائماً فى شارع قصر العينى (تشغله دار الأدباء)، مقصوراً على اثنين من أعضاء اللجنة (هما عبدالعزيز عز العرب ومهدى علام) وكان ذهاب من عليه الدُّور منهما إلى منزل عبدالرحمن بك يكون فى ثياب باعة الجرائد، لأن المراقبة على البيت كانت دائمة وشديدة.

** - حفظ الزمن نسخة من هذه الجريدة وبعض المنشوات الأخرى، وقد أعطاها الأستاذ للدكتور عبدالصبور مرزوق عندما كان يعد رسالته للدكتوراه عن أدب ثورة ١٩١٩، بكلية دار العلوم.

وللتاريخ نذكر أسماء هؤلاء الأعضاء الذين لم يغب عن الأستاذ منهم إلا اسم ممثل مدرسة الزراعة العليا. وهؤلاء هم المرحومون الأبطال.

مدرسة الهندسخانة المرحوم عبدالعزيز عز العرب مدير بلدية القاهرة الأسبق.

مدرسة الحقوق المرحوم إبراهيم عبدالهادى رئيس الوزراء سابقاً، والمرحوم حسين إدريس المستشار بمحكمة الاستئناف العالى.

مدرسة التجارة العليا المرحوم سكر الذى لم تطل مدته فانقطع ثم توفى.

مدرسة الطب المرحوم إبراهيم خليل والمرحوم حلمى الجيار، طبيبان معروفان فى وقتهما.

مدرسة ا لطب البيطرى المرحوم حافظ شرف الدين، كبير الأطباء البيطرين سابقاً.

مدرسة الصيدلة المرحوم حسين النحاس، صاحب صيدلية ابن النيل سابقاً.

مدرسة المعلمين السلطانية المرحوم محمود عوضين طه من كبار رجال التربية.

القضاء الشرعى المرحوم محمد عبد الرحمن الجديلى، وكيل الوزارة للشئون الإسلامية بمجلس الوزراء.

مدرسة دار العلوم مهدى علام.

ثانياً : مر فى حياته بتجربة نادرة، فقد اختارته وزارة المعارف بناء على طلب من السراى الملكية فى سنة ١٩٣٠، ليكون معلماً خاصاً للأمير فاروق، ولى العهد وقتئذ، واستمر فى هذا العمل الخطير سنة وأكثر قليلاً. وكان المشرف على تربية الأمير أحد الباشاوات، وكان لا يفهم شيئاً عن شئون التربية والتعليم. وكان مع الأستاذ أربعة أساتذة آخرون. وكانوا يتعاقبون يومياً على هذا التلميذ الذى كان فى حدود الحادية عشرة من عمره. واقترح الأستاذ على هذا الباشا أن يختاروا خمسة أو ستة من أولاد فى سن الأمير ليكونوا معه مدرسة خاصة، لتتجاوب غرائزهم، ويتنافسوا بعضهم مع بعض، ويخف عن التلميذ الوحيد ضغط استقباله وحده لخمسة أساتذة كل يوم. وبالإضافة إلى أن هذا الاقتراح كان معيباً و«مهيناً» فى نظر ذلك الباشا، فإن الأمر زاد سوءاً عندما قال الأستاذ إن هذا النظام كان متبعاً فى تعليم أولاد

الخديوى عباس السابق، وبذلك اتضح أن آراه ثورية، وانتهت مدة انتدابه للتدريس للأمير.

لقد كان الأستاذ يعارض فى تزييف التاريخ الذى طلب منه، بأن يكون الملك فؤاد هو الذى ولىّ الملك بعد الخديوى إسماعيل والده. ولما قال ماذا أفعل بتوفيق، وعباس الثانى، وحسين كامل. قيل له بكل جرأة : اقطع الأوراق الخاصة بهم من كتاب التاريخ. ولما شكا من أن فاروق لم يكن قد رأى من الحيوانات غير الحصان والكلاب والقطط، وأن من اللازم أن يزور حديقة الحيوان قالوا : على شرط إخلائها، يوم زيارته من الناس، ولما قال، إنه محروم من رؤية الناس وهذا سيئ الأثر عليه، قيل للأستاذ إنه لا يحتفظ بما يجب له من العزلة اللائقة به.

لقد كان معه من الأساتذة المرحوم الأستاذ شفيق زاهر (للرياضة والرسم) ومستر هاثواى (للغة الإنجليزية)، ومسيو رابيينا (للغة الفرنسية) وإبراهيم خيرى باشا (لركوب الخيل)، وباقى المواد الدراسية كان مسئولية الأستاذ الدكتور مهدى علام. وإنصافاً لهؤلاء الزملاء يقرر الأستاذ أن عدد دروسهم الأسبوعية كان نسبياً محدوداً لكل منهم، أما هو فكان عليه أن يذهب إليه كل يوم ساعتين، ساعة فى الصباح وساعة بعد الظهر. فى ذمة اللّه هؤلاء جميعاً، وفى سبيل اللّه والوطن ما قام به.

وقد قام الرئيس محمد حسنى مبارك بتكريمه فى الثالث من نوفمبر عام ١٩٩١ بوسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى بمناسبة الاحتفال بالعيد المئوى لكلية دار العلوم حيث ألقى الدكتور مهدى علام كلمة قدامى الخريجين فى هذه المناسبة.

هذا وقد لبى نداء ربه فى التاسع عشر من مايو ١٩٩٢ بعد حياة حافلة فى خدمة الدين والعلوم والوطن.

(المرجع الأساسى كتاب : المجمعيون فى خمسين عام، للدكتور مهدى علام)

كلمة الأسرة

للشاعرة ثريا مهدى علام

كريمة المرحوم الدكتور مهدى علام

السيد الأستاذ الدكتور محمد هريدى عميد الكلية، السيد الأستاذ الدكتور وكيل الكلية، سيداتي سادتي، ينتابني خليط من المشاعر وأنا ماثلة أمامكم اليوم في المكان الذي أمضى فيه والدنا المرحوم الدكتور مهدى علام نحو أربعين عاماً من عمره المديد ما بين رئيس لقسمي اللغة العربية واللغة الإنجليزية وعميد للكلية ثم أستاذ متفرغ حتى لبى نداء ربه.



وبالطبع لا أقصد بالمكان هذا المبنى فحسب فكلية الآداب، بل جامعة عين شمس كلها مصدر إشعاع للغة القرآن الكريم والعلوم الإنسانية كافة.

والمشاعر التى تراودنى الآن هى الامتنان العميق للذين قاموا بهذا التكريم ومشاعر الفخر والاعتزاز لانتمائنا لأب عملاق فى العلم والأخلاق، وإنى أكاد أشعر بروحه تُرفرِفُ علينا اليوم.

كان المرحوم مهدى علام شخصية متفردة فى علمه وأخلاقه. وكان الإخلاص من أهم صفاته، الإخلاص فى أداء أى عمل يقوم به، والإخلاص للدين وللوطن، والإخلاص لأصدقائه، والإخلاص لأساتذته وتلاميذه. وكان أباً مثالياً وزوجاً مثالياً، فكان يعاملنا منذ صغرنا بحنين واحترام، ويناقشنا فى كل أمورنا، كان والداً ومُعلماً، ومُربياً، وصديقاً كان مثلنا الأعلى، غرس فينا منذ الصغر القيم الدينية، والحب للوطن.

أما علاقته بشريكة حياته ورفيقة عمره المرحومة والدتنا الحبيبة، فكانت علاقة نادرة وسامية، ليس لها نظير. فلم أر حباً واحتراماً وتقديراً ووفاءً متبادلاً بين زوجين مثلما كان بينهما ، وقد أثر رحيل الوالدة الحبيبة عليه تأثيراً

قوياً، ولكنه استمر فى أداء أعماله بإيمان وصبر، محاولاً إخفاء حزنه حتى لا يزيد من أحزاننا. وكان من مظاهر تفانيه فى حبه أنه كان يُحرم على نفسه الأطعمة الممنوعة عليها عندما أصيبت بمرض السكر، ورغم أنه كان يلتزم بالأخلاق السامية، فإنه كان يلتمس الأعذار للذين يُخْطئون، فكان متفهماً لظروف الآخرين، وكان إلى جانب عمله الغزير وثقافته الواسعة، ذا شخصية جذابة لا تفارقه روح الفكاهة التى تَسُرُّ ولا تُجَرِّح، وتنقد ولكن لا تسخر. فقد كان حريصاً على مشاعر الآخرين أقصى درجات الحرص.

وقد كان لمعرفته الواسعة باللغة الإنجليزية وآدابها أثره فى أن يقدم للغة العربية وآدابها خدمات عظيمة، أكاديمية وأدبية : فقد كان رئيساً لقسمى اللغة الإنجليزية والعربية فى كلية الآداب بجامعة عين شمس، وترجم إلي اللغة الإنجليزية كثيراً من روائع الأدب العربى والفن الإسلامى، كما نقل إلى اللغة العربية كثيراً من روائع الأدب الإنجليزى. وجهوده فى الإشراف علي رسائل الماجستير والدكتوراه فى اللغتين العربية والإنجليزية معروفة للمتخصصين، وقد قام فى عام ١٩٥٧م بالترجمة الفورية من العربية إلى الإنجليزية، ومن الإنجليزية إلى العربية للأبحاث التى قُدِّمت فى المؤتمر الإسلامى بلاهور فى الباكستان.

وكان رحمه اللّه يُحب تلاميذه، ويقول لنا إن من نعيم اللّه عليه، كثرة تلاميذه، ووفاءهم له. وكان يبتهج كلما اتصل به واحد منهم ليحييه ويسأل عن صحته. ويقول : هذه نعمة من نعم اللّه أن يكون لى كل هؤلاء التلاميذ. وسوف أستشهد هنا بأقوال بعض تلاميذه ومريديه عنه وهى أقوال تشهد بالحب المتبادل بين الأستاذ والتلميذ :

* قال عنه تلميذُه الدكتور إبراهيم عبدالرحمن : الأستاذ بقسم اللغة العربية «إن سلوكه العلمى قد امتزج بسلوكه الإنسانى ليصبحا شيئاً واحداً. وهو باختصار سلوكُ إنسانٍ متحضرٍ ومثقف، يتسع عقله للتفكير المتجدد، وقلبه للحب الذى لا ينْضب ماؤه، ولا تجف عواطفه، فلم أرهُ يوماً إلا ساعياً فى الخير، ومنشغلاً بالعلم، لغته هى الأخرى صورة لهذا التحضر الذى يحكم سلوكه العلمى والإنسانى؛ ولم أسمعه يوماً ينطق كلمة غير كريمة، ولم أره يوماً يغضبُ لغير حق أو يسعى فى غير العلم والخير».

* وقال عنه صديقه الأستاذ إبراهيم أحمد : وكيل الوزارة الأسبق بمجمع اللغة العربية «لقد لمست فيه خلقاً كريماً وأدباً جماً وقد أحببته لتواضعه فلا يترك زائراً حتى يودعهُ عند باب مكتبه أو باب منزله، أحببتهُ لوفائه لشريكة عمره، أحببته لشموخه واحترامه لنفسه».

* وقال عنه تلميذه الدكتور محمود الجريدلى : «إنه كان يبذلُ لزكاة العلم، وإن أُبُوتَهُ السَمْحة كانت تمنحُ بلا حدود وبلا مقابل، وإن الأبوة لا تَنْصبُ قط على عطائه العلمى. بل كانت تتجلى فى معاملاته اليومية وإلى جانب هذه الصفة تجد عفةَ اللسان والنبل وتواضُعَ العلماء».

* وقالت عنه الدكتورة چيهان إبراهيم ، تلميذتُه الوفية «إن من صفاته الكريمة علْمَ الأستاذِ، وتواضع العلم، وسعة صدر الأب وحكمة المربى، فضلاً عن عطاءٍ بدون حدودٍ وإيمانٍ يحيط بكل ذلك، ويملأ قلبه بالخير لكل مَنْ حوله».

لقد ترك رحيل والدنا الحبيب فراغاً كبيراً ولكنه يعيشُ فى قلوبنا ووجداننا كما يعيش فى قلوب كل الذين أحبوه واحترموه ووجدانهم. وأعماله فى العلم النافع سوف تعيشُ أبَدَ الدهر تُعلمُ وتُثَقِّف وتنيرُ طريقَ الخير والبرِّ.

أشكركُم جميعاً باسم الأسرة على حُضوركم هذا الحفل وأدعو اللّه أن يتغمَّد المرحوم الدكتور مهدى علام برحمته، فقيد العلم والإيمان والجامعة والإنسانية.

والسلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته.

ثريا محمد مهدى علام

فى حفل تأبين وذكرى المرحوم
أ.د. محمد مهدى علام
فى ١٦ / ١٢ / ٢٠٠٣

شعر أ.د. عاطف جوده نصر
الأستاذ المتفرغ بقسم اللغة العربية

هَذى المنونُ تغـولُ كلَّ رُواء فاجـزَعْ، أو اصبـرْ، كُلُّنا لفناء

وَأسُ الشجوَن فكل قطفٍ يُجتَنَى لا جُنَّةٌ من خـارفِ الأَجْنـاء

ثمـرٌ أذابَ به الربيعُ عصيرَهُ أو غـاضَـه يَبَسٌ سِوَىً بسَواء

وَدَعِ الحِـمامَ يَدُعُّ من وُلِدوا له غرباءَ فى الأموات والأحياء

فكِهُوا زماناً فى الحياة وأركضُوا خيلَ الصِّبا بعَمايةٍ وفَتاء

حتى إذا شَرِقوا بلذَّة عيشهمْ ألقاهُم للخَبْطَةِ العَشْواء

والموتُ علةٌّ ذا الوجودِ ونَقْصُه ومن السَّقام سلامةُ الأعْضَاء

والمرءُ يلْبَسُ بُردَ عافيةٍ وينْضُـ ـوه غدا فيصيرُ نضْوَ عَفاء

إن يبْقَ حَرْساً فى الحياة معذَّباً أو ناعماً فبقاؤُه لفناء

وإذا تخرَّمهُ المنونُ فربما مَهدَ المنونُ له دوامَ بقاء

فنَعاءِ فردَ المكرُماتِ نَعاءِ ... من طوّق الأعناقَ بالآلاءِ

وسمْت مآثرُه على النظراءِ ... حتى تسنّم ذروةَ العلياءِ

أسكتّ يا موتُ الكلامَ بفقده ... ونقَضْتَ منه مقْولَ الشعراءِ

وقطعْتَ من سِدْر الكنانة سِدْرةً ... ممدودة الأوراقِ والأفْياءِ

أين الذى ملأ المحافلَ حكمةً ... وخَطابةً أزْرَتْ على الفُصحاءِ

قبسُ المجامعِ كم أضاء قِبابَها ... وجلا حوالكَها بمثْلِ ذُكاءِ

إن تلْقَهُ تلْقَ التواضعَ قوةً ... وكذاك تُخْبتُ صفوةُ العلماءِ

زُهْدُ الأبيل ورقّةُ الرُّحماءِ ... ورضا الصديق وزينةُ الرفقاءِ

سيماؤه تُنْبيك عن أطْوائه ... سَمْتُ الوقار وشيمةُ الحُلماءِ

ويُلين أعطافَ البيان فينثنى ... طوعاً ويْخطُر مِشْيَةَ الخُيلاءِ

طَبٌّ بأسرارِ اللغات ومُعْرِبٌ ... عن مُغْربٍ بذَلاقةِ الفُطناءِ

كم كان يُتْحفنى متى قابلْتُه ... بمحَبّةِ الآباء للأبناءِ

وتحينُ منه إلى نظرةُ وامقٍ ... حَدِبٍ فتُنْشطُنى من الأدْواءِ

ويَظَلُّ يَقْريكَ الحديثَ فتارةً ... جِدٌّ وأُخرى مِزْحةُ الظرفاءِ

ضربـاً ومَهْدِيٌّ اليـعاسيبِ الذي — يجنيـه عـزّ جَنىً على الـضُّرَباء

آنستُ منه الـرأيَ يقطـعُ حـدُّه — قطْعَ الشـكوك تَريُن كـالظـلماءِ

وفـراسـةً فـرسَـتْ ويَفْـرِي فَـرْيَهُ — فـتطنُّه وَحْـيـاً عـلى النُّبـآءِ

مَنْ خِـيُـمـه الإيثـارُ للقُـربَاء — ومـحـبُّـة الأَدْنَيْنَ والبُـعـداءِ

ياغـرفةً في القـسم شاغـرةً هوى — نجمُ العـلوم وسـيّدُ العُـمـداء

ومـضى تخـلد ذكَـرَهُ آثارُه — والذكـرُ مـحـموداً لِسـان ثَناءِ

مع الدكتور مهدى علام
فى كتابه : دراسة أدبية
للدكتور إبراهيم عبد الرحمن

يلاحظ من يقرأ الدراسات الأربع المنشورة فى هذا الكتاب أن أستاذى الدكتور مهدى علام قد وقف فى كل واحدة منها عند قضية بعينها من خلال دراسة تطبيقية، فنية وموضوعية، على نماذج معينة من شعر هذا الشاعر أو ذلك.

(١)

وقد وقف فى الدراسة الأولى (مجلة دار العلوم ١٩٣٦)، عند قضية الفلسفة فى شعر المتنبى، وقفة نبعت، أولاً، من إسراف القدامى والمحدثين فى نسبة التفكير الفلسفى إلى أبى الطيب المتنبى من خلال طائفة من الحكم والأمثال التى انتشرت فى قصائدة انتشاراً أغرت لكثرتها وموافقتها لأهواء الناس ودلالتها على أحداث الحياة، كثيراً من المؤلفين بأن يعدوا أبا الطيب فيلسوفاً أكثر منه شاعراً، وقصد، ثانياً، إلى «تعديل هذه الآراء وتنظيمها، ووضع الأدلة لها من كلام المتنبى الذى ... يشتمل على تفكير فلسفى، لا من كلامه الذى ظن كثير من الكتاب أنه فلسفة وما هو بفلسفة» وبذلك «ننصف المتنبى من جهة، وننصف الفلسفة من جهة أخرى».

وقد اتبع لتحقيق هذه الغاية من التفسير والتقويم، منهجاً علمياً دقيقاً يعتمد على مراجعة النصوص الشعرية وتفسيرها، واستخلاص العناصر الفلسفية أو الفكرية الصحيحة منها، وتصنيفها وردها إلي أصولها القديمة والحديثة؛ وتقويمها فى صورها التى استحالت إليها فى شعر المتنبى، وفى اختصار فإنه يحرص فى تقويمه لتراث المتنبى من «الشعر الفلسفى»، على التفرقة بين إطلاقين للفلسفة «أولهما إطلاقها بمعناها الأعم، وهو يشمل الرأى أو الفكرة : فلكل إنسان بهذا المعنى فلسفة فى الحياة، لأن لكل إنسان رأيا فى الحياة : وثانيهما إطلاقها بمعناها الأخص .. (حين) تتناول البحث فى حقائق الأشياء، وتتفرع إلى البحث فى الإلاهيات، والبحث فى الطبيعيات، والبحث فى السلوك الإنسانى أو الأخلاق. وما يتفرع من هذا مما يسمى بالفلسفة الاجتماعية».

وقد انتهى الدكتور مهدى من إعمال هذا التعريف للفلسفة فى مفهوميها العام والخاص، فى مراجعة تراث المتنبى من «الشعر الفلسفى» إلى أن «كثيراً مما يسمى فلسفة المتنبى ... ليس مذاهب قائمة على البحث والاستنباط، ولكنه حكم وقضايا تفيض بها تجاربه، وتوحيها أحياناً ثقافته، فينطق بها فى مناسبة، وأحياناً بغير مناسبة، فيكتب لها الخلود أنها اكتست ثوباً شعرياً جميلاً، وصادفت هوى فى أفئدة الناس».

وقد أخذ، انطلاقاً من هذه الحكم، يميز فى صفحات هذه الدراسة الطويلة، بين نوعين من «شعر المتنبى الفلسفى» : الأول، الحكم والأمثال التى كساها ثوباً شعرياً، يستمد جماله «من روعة الفن ورشاقة التشبيه، وحسن التعليل، وسمو الخيال، لا من دقة البحث والنظر فى حقيقة الأمور»، مما لا يجعل منها فلسفة بالمعنى الصحيح لهذا المصطلح. والثانى، آراء المتنبى فى الحياة والناس والدين، وأفكاره عن الأخلاق والسلوك، وهذه فيما يرى. «مجموع فلسفته، فيما عبر عنه».



ويرد الدكتور مهدى هذا المجموع من فلسفة المتنبى، أو قل هذه الأفكار التى تقترب من الفلسفة بمعناها الصحيح، إلى مصادر ثلاثة :

الأول، تجارب المتنبى فى الحياة، وهى تجارب كثيرة ومضنية، عايش الشاعر أحداثها معايشة طويلة، أسلمته إلى آراء واقعية فى الحياة والناس من حوله، كان لها صداها وأثرها فى انتشار الحكم والأمثال فى كثير من قصائده، كما كان صدق هذه الأمثال وانبعاثها من تجارب حقيقية، وقدرة المتنبى على صياغتها صياغة شعرية بارعة، سبباً فى ذيوعها وتمهيد طريقها إلى عقول قراء شعره وقلوبهم.

والثانى، الثقافة الإسلامية، التى تتمثل فى ترديد المتنبى لكثير مما جاء به القرآن الكريم والحديث الشريف النبوى الشريف، وصياغته صياغة شعرية تقطع فى كثير من الأحيان، بين هذا الشعر وبين الأصل الذى أخذ منه من صلة صريحة.

والمصدر الثالث، أجنبى، ويريد به هذه الأفكار الثقافية الأجنبية التى أخذت تغزو الثقافة الإسلامية منذ نشطت الترجمة فى القرن الثاني للهجرة على أيدى المترجمين الذين دفعهم المأمون دفعاً إلى إثراء الفكر العربى الإسلامى بعناصر من الفكر الأجنبى، مما كانت ثمرته انتقال كثير من آراء أفلاطون وأرسطو وغيرهم من حكماء اليونان والهند وفلاسفة العالم القديم إلى العرب - وهو يشكك فى قيمة هذا المصدر وأثره فى «فلسفة المتنبى»؛ إذ إن ظهور مثل هذه العناصر الأجنبية القليلة فى شعره

«ليس دليلاً قاطعاً على أن المتنبى قد نقل عمن شاركوه فى الأفكار ممن سبقوه؛ فليس عزيزاً على مثل أبى الطيب ذكاء وخبرة أن يقع خاطره على مثل خواطرهم»؛ فقد امتزجت هذه الأفكار السابقة جميعاً، «إسلامية كانت أم مترجمة، بتجاربه الواسعة التى أفادها من تنقله ... ثم أضاء عليها فكره الوقاد، فأظهرها لنا فى هذه الصورة الجميلة النادرة التى تقرؤها اليوم شعراً خالداً ...».

وقد توزعت آراء المتنبى الفلسفية تلك، فيما يرى، فى موضوعين : فلسفة فى الدين، وتجمع آراءه فى الإله والرسول وموقفه من الأوضاع والتقاليد، والموت. وفلسفة فى الحياة، وتتناول تشخيص طموحه وكبريائه وشجاعته، وشكواه من الزمان وتبرمه بالناس؛ وعصاميته وموقفه من الصداقة والطبع والتطبع، إلى آخر هذه القضايا التى عرض لها فى تصوير موقفه من الحياة والناس من حوله.

ويطول بنا الأمر لو حاولنا تلخيص عناصر هذه القضايا على نحو ما عرضها المتنبى فى أشعاره، واستخلصها الدكتور مهدى وصنفها فى أحكام فلسفية لها منطقها الفكرى على الرغم من صياغتها الشعرية، ولكنا نكتفى بالوقوف فى هذا التقديم عند عنصرين من عناصر هذه الفلسفة هما : رأيه فى الدين، وفلسفته فى العصامية.

فأما آراؤه الدينية فيلخصها المؤلف فى عنصرين : دين المتنبى، وموقفه من الموت؛ وهو يشك فى دين المتنبى لخلو ديوانه مما يدل على أنه كان للمتنبى عقيدة راسخة فى دينه، أو رأى وقور فى الخالق العلى ورسله الكرام؛ فلدى أقل المناسبات يندفع ... اندفاع من لا حرمة للدين عنده، فى تشبيه نفسه وممدوحه بالرسل الكرام، بل بالذات العلية؛ وهو يلحد مبكراً، ويصر على إلحاده شاباً وكهلاً ...».

وساق للتدليل على افتقار المتنبى، فى أشعاره، إلىٰ الجادة الدينية وميله إلى الإلحاد، نصوصاً من مدائح مختلفة قالها فى نفر من الحكام والأمراء والوزراء. وهى نصوص وإن كانت تشخص بحق جرأة المتنبى على مواضعات الدين، وما يتصل به من الأحكام وشخصيات الرسل فإنها تشخص، فى الوقت نفسه، مقوماً أساسياً من مقومات المديح فى الشعر العباسى خاصة، هو المبالغة والإسراف فى رصد فضائل الممدوحين!.

وقد لخص رأيه فى دين المتنبى فى عبارات قاطعة بزندقته وإلحاده كما تشهد بها نصوص شعره هى قوله : «فليس فيما يرويه المؤرخون عن حياة أبى الطيب، ما يحملنا على انتحال المعاذير له فى هذه الزندقة، أو تلمس التأويل لشعره فيما هو صريح فى الخروج على العنعنات الدينية، فقد

روى الثقات أنه ما صلى ولا صام، ولا سُمع يقرأ القرآن. ومن كانت تلك حياته، وهذا شعره، لا يجوز أن يقال : إن لفظه قد جاوز قصده»!.

وهو يؤكد فيما يتصل بآراء المتنبى في الموت بأنها جميعاً، إلا فى موضع واحد، آراء «إسلامية بل قرآنية، يقرر فيها أن الموت مصير كل حى، لم ينج منه قيصر ولا كسرى، ولا ذو مال ظن أن ماله يغنى عنه شيئاً، ولا بطل مغوار ضاق الفضاء بجيشه». وقد أخذ، للتدليل على هذه الحقيقة يقابل بين مقطوعات من شعر المتنبى وبين آيات من القرآن الكريم.

ويعد ما يسميه أستاذنا الدكتور مهدى بـ «فلسفة العصامية» فى شعر المتنبى كشفاً جديداً لظاهرة فنية تغلب على كثير من مدائح المتنبى ومفاخره، وتلعب، لهذا السبب أو ذاك، دوراً فنياً فى مدائحه خاصة ومفاخره عامة، هو أنه يجعل من هذه المدائح تغنياً بقيم خلقية وإنسانية كان يحس إحساس الفنان المرهف بافتقار بيئته إليها، فيخلق بها عالماً مثالياً يشد الناس إليه ويهيئ لهم خلاصاً عن طريقه، ومن ثم فإن هذه «العصامية» ليست فلسفة «فى الحياة فحسب» ولكنها «فلسفة» فى المديح كذلك كان المتنبى يلجأ إليها كلما فرضت عليه حياته أن يمدح هذا الأمير أو ذاك من أمراء الدويلات العباسية، ومن هؤلاء الأعاجم الذين غلبوا على سلطة الخلافة واقتسموا أقاليم الدولة بينهم. ومهما

تكن قيمة هذه «الفلسفة» وغايتها الحقيقية، فإنها قد نقلت صيغ المديح على يدى المتنبى نقلة فنية واسعة كما قلنا أضحت، لذلك مفتاحاً سحرياً إلى تفسير المبالغة فى صوره ومعانيه الشعرية على اختلاف أبنيتها البلاغية.

(٢)

والدراسة الثانية (حوليات كلية الآداب - ١٩٥١) عن «فن المقصورة فى الأدب العربى» هى الأخرى كشف لظاهرة فنية فى الشعر العربى القديم، لم يفطن إلى أهميتها القدامى والمحدثون من الدارسين، حين مروا بها مروراً عابراً فى كتاباتهم عن أبنية القصيدة القديمة.

وتتألف هذه الدراسة من جزأين : الأول، مقدمة طويلة يؤرخ فيها لشاعر هو : أبو الحسن حازم القرطاجنى الذى أخذ فن المقصورة على يديه شكله النهائى، حين جعل منه فناً متميزاً من غيره من أبنية الشعر القديم فى شكلها التقليدى، ويتابع نشأة المقصورة فى الشعر القديم قبل عصر القرطاجنى وبعده، ويكشف عن مصادر هذا الفن وأصوله التى نبع منها - وقد انتهى فى تحقيق هذه النشأة إلى أن «القافية المقصورة كانت مستعملة فى الشعر العربى قبل الإسلام، غير أنه يبدو من العدد

القليل الذى وصلنا من القطع الشعرية التى على هذا الروى، ومن قلة الأبيات فى كل مقطوعة، أن هذا النوع من القافية لم يكن كثير الذيوع بين شعراء الجاهلية» ولكنه ذاع وانتشر بعد الإسلام بفضل القرآن الكريم الذى يمتاز أسلوبه بوفرة استعمال المقصور فى فواصل، ومعنى ذلك، أن فن المقصورة قد مر بمراحل متدرجة من التطور فى العصور الإسلامية المختلفة بفضل أسلوب القرآن الكريم، حتى انتهى إلى صورة تجعل من المقصورات فناً شعرياً متميزاً من غيره من فنون الشعر الأخرى - أو على حد تعبيره، مجموعة شعرية مثل غيرها من المجموعات الشعرية المعروفة التى «تنتمى إلى طائفة من الشعر ذات خصائص تجعلها من جهة متشابهة بعضها مع بعض، كما تجعلها من جهة أخرى، وبسبب هذا التشابه نفسه، مختلفة عن غيرها من القصائد» كالأراجيز؛ والمعلقات؛ واللاميات.

«وأهم ما تشترك فيه هذه المقصورات هو أنها، من حيث الشكل على الروى المقصور، وأنها من بحر الرجز، وأنها فى جملتها من المطولات فى الشعر العربى، فمعظمها أطول من معظم القصائد العربية، وواحدة منها، هى مقصورة القرطاجنى، تبلغ ألف بيت وبيتين»! كماجعل الشعراء من هذه المقصورات مستودعاً لأغراض

الشعر القديم من ناحية، ومعرضاً لغوياً بلاغياً وثقافياً لتراث الأدب والبلاغة القديمين من ناحية أخرى، وتهتم المقصورات، إلى جانب ذلك، «بسرد عدد من الحوادث التاريخية فى إشارات وتلميحات أدبية، قد يسمو التعبير عنها إلى درجة اللوحات الفنية، وقد ينحط أحياناً إلى ما لا يزيد على أن يكون فهرساً منظوماً ...».

أما الجزء الثانى من هذه الدراسة فيخلص لتحقيق مقصورة القرطاجنى التى يعتبرها نموذجاً عالياً لهذا النوع من القصائد الذى حقق على يدى هذا الشاعر أقصى ما وصل إليه فن المقصورات من تطور - وهو نموذج من تحقيق النصوص يستوعب كل مقومات هذا العلم : من الدقة والاستيعاب والأمانة فى توثيق النص ليخرج فى صورة أقرب ما تكون إلى الصورة التى كان عليها عندما صدر عن صاحبه. ومقصورة القرطاجنى وإن كانت فى حكم القصيدة الواحدة، فإنها من حيث الرواية وطبيعة النسخ من النصوص المُشكلة كما أنها من حيث عدد أبياتها، تعد ديوان من الشعر. وقد حشد لتحقيقها عدداً من المخطوطات تخير من بينها أصلاً أثبت نصه، وقام بمقارنته بنصوص المخطوطات الأخرى، فى حيدة وصرامة ودقة واستيعاب يندر أن نجد مثيلاً لها فى النصوص المنشورة التى حظيت بعناية محققيها، مستخدماً

منهجاً من الوصف والمقارنة لبناء نص لهذه المقصورة برىء من النقص والتحريف والخطأ.

(٣)

وقد أدار الدكتور مهدى علام دراسته الثالثة : المتنبى بين نفسيته وشاعريته (مجلة مجمع اللغة العربية ١٩٦٣) حول تحليل قصيدة بعينها لأبى الطيب المتنبى هى ميميته المشهورة التى قالها فى عتاب سيف الدولة قبل رحيله عنه إلى كافور الإخشيدى، مستخدماً فى هذا التحليل منهجاً مزيجاً من العناصر النفسية والفنية لتشخيص هذا الجدل الخفى الذى يحتدم فى باطن الشاعر بين «نفسيته وشاعريته» أو بين مشاعره الخاصة والعامة. وهو جدل ينتهى إلى تشكيل الصور الفنية لشعر الشاعر تشكيلاً خاصاً يختلف من شاعر إلى آخر باختلاف قدراتهم على إخفاء مشاعرهم الخاصة والحيلولة بينها وبين أن تظهر سافرة للقراء فى صورها الحقيقية.

والمؤلف يرى أن أبا الطيب المتنبى «من أقدر الناس على إخفاء هذه الكوامن النفسية... «فقد يضطر فى بعض الأحيان إلى إظهار الرضا وهو غاضب، إلى المدح، وفى نفسه أن يهجو، إلى الاعتذار وفى اعتقاده أنه يجب أن يعتذر إليه ...».

وقد أثمر هذا الجدل النفسى صوراً معينة اتخذها الدكتور مهدى مفاتيح إلى تشخيص صراع المشاعر فى نفس المتنبى، وأثر هذا الصراع على عملية الإبداع الفنى لقصيدته، منها : المفارقة الحادة التى يسجلها فى الأبيات الأولى بين حبه لسيف الدولة، وحب المتشاعرين الزائف له، وبين قلبه المفعم بالحرارة، وقلب أميره البارد، والانتقال المفاجئ من الشكوى إلى المديح «خضوعاً لموقف تمليه الظروف التى تتعارض مع ما يجيش فى نفسه من الألم»، وهجاء خصومه وحساده ومزج هذا الهجاء بفخره وزهوه وتجسيد كبريائه وصلفه بإضفاء المكارم على نفسه «غير عابئ بأنه فى مجلس وليه، وبأن الموقف موقف استرضاء واعتذار..» وغير ذلك من مثل تردده بين اللين والقسوة والاعتذار والعتاب، مما أنتج طائفة من الصور والمعانى التى لا تدل إلى على شئ واحد، هو أن أبا الطيب المتنبى فى هذه القصيدة كما يقرر الدكتور مهدى، كان «خاضعاً لمجموعة معقدة من الوجدانات، تعتريه فى وقت واحد أو لحظات سريعة متلاحقة، مما أخرج .. هذا المزيج فى هذه القصيدة التى ظلت أكثر من ألف سنة تثير إعجاب القارئين، وقل من تلمس ما وراء شاعريتها البارعة من نفسية مضطربة، متوثبة» !

(٤)

ولا تقل دراسته الأخيرة (جريدة المقطم ١٩٣٥) عن : محمود حسن إسماعيل شاعر الريف، عن دراساته السابقة جدة وعمقاً وإمتاعاً، فقد قدم فيها وقت مبكر (سنة ١٩٣٤) إلى القراء شاعراً واعداً من شعراء الطبيعة فى مصر الذين رادوا بقصائدهم فى وصف الريف المصرى، طريق الشعر إلى الرومانسية فى صورتها الصحيحة، وقدم فى هذا الاتجاه قصائد تدل على وعى فطرى بطبيعة الفن الرومانسى على الرغم من أنه لم يطلع على نتاج الشعراء الغربيين الذين كان هذا النغم الرومانسى يسيل فى قصائدهم سيلاً، مما يؤكد حقيقة بعينها، هى أن النزوع إلى الرومانسية نزوع فطرى يستطيعه ويقدر على تشخيصه كل شاعر وهب هذا القدر من الإحساس العميق بمأساة الحياة فى صورها البسيطة والمعقدة فى آن معاً، كما يحسم جدلاً قديماً حول مدى تأثير تيار الرومانسية الغربى فى نشأة الاتجاه الرومانسى فى الشعر العربى المعاصر. ولا أبالغ إذا قلت إن هذه الملاحظات الفنية الخاصة التى وردت فى هذه الدراسة لا تزال تتردد، فى صورة أو أخرى فى كتابات الدارسين عن شعر محمود حسن إسماعيل. وهى ملاحظات تستوعب مقومات «الرومانسية» فى شعره فى أشكالها اللغوية والتصويرية والموضوعية والإنسانية، فهو يلاحظ اعتماد الشاعر على الصور وازدحامها فى

قصائده ازدحاماً يخلق لها وجوداً خالصاً، ويجعل لها دوراً متميزاً، «وجواً خاصاً بالموضوع الذى يتناوله قلم الشاعر، ومتى تنفست فى ذلك الجو استطعت أن ترى فى قليل من الألفاظ كثيراً من الصور....»! كما يلاحظ كيف ينتزع لغته ومعانيه وموضعاته انتزاعاً من بيئة قريته الريفية : فيتغنى فى أسى إنسانى عميق بالسنبلة والنخلة وجرة الماء التى تحملها الفلاحة المسكينة، والكوخ البسيط الذى يسكنه الفلاح الفقير .. إلى غير ذلك من ظواهر الحياة فى الريف المصرى، مما جعل منه بحق «شاعر الريف» كما يسميه.

ولعل أروع ما تشخصه هذه الدراسة هذا الحب المتبادل بين الأستاذ والتلميذ، وهو حب إن دل على شىء فإنما يدل على أن قلب الأستاذ ووقته وقلمه قد اتسعت جميعاً لحب تلميذه، والإشادة به، وتمهيد الطريق أمامه إلى الظهور، بتقديم فنه، وهدايته إلى الصورة المثلى فيه، وأن قلب التلميذ ظل، على الرغم من تقلب الحياة به، عامراً بحب أستاذه، عارفاً بفضله، متخذاً من تجربته وحكمته معيناً له على ظروف الحياة - إنه نمط من الحب يملك منه الأستاذ رصيداً لا ينفد، على كثرة التلاميذ والمريدين الذين يعبون منه ويأخذون، ونمط من وفاء التلاميذ لم يعد له وجود، بعد أن غاض ماؤه، وجفت أرضه.

(٥)

وحين نترك هذا العرض العام لموضوعات هذه الدراسات الأربع، إلى المنهج الذى اتبعه الدكتور مهدى علام فى تحليل الشعر وتقويمه، ألفيناه منهجاً يتألف من عنصرين عامين ينطويان على عناصر فرعية أخرى، هما : تحليل النص الشعرى فى ذاته تحليلاً فنياً وموضوعياً، وتفسيره بتوثيق الصلة بين معانيه وظروف صاحبه وظواهر بيئته. وقد تجلي هذا المنهج الوثائقى بعنصريه الأساسيين فى اعتماده على النصوص الشعرية التى يختارها اختياراً خاصاً، والمقابلة بين هذه النصوص وبين نفسية صاحبها وظروف بيئته من خلال تحليل واع لعملية الإبداع الفنى، مقابلة ليست لها من غاية سوى تفسير النص والكشف عن الرموز الكامنة فى لغته وصوره الشعرية، كما رأينا فى تفسيره لآراء المتنبى الفلسفية، وتخريجه لصوره الشعرية فى مدائحه لسيف الدولة، وتقويمه لاتجاه محمود حسن إسماعيل الرومانسى، فى شغفه بنقل الصور الريفية إلى أشعاره، وكشفه عن الأصول الفنية لفن المقصورة فى صورتها المكتملة، وتأثرها بالقرآن الكريم فى قافيتها، والفنون الأدبية الأخرى كالمقامة فى بنائها اللغوى والبلاغى، والقصيدة القديمة فى أغراضها. وخلاصة ذلك أن هذه المقابلة التى يقيمها بين

الشعر والشاعر، وبين الشاعر وواقع الحياة من حوله ليست لها من غاية سوى تمهيد الطريق إلى تحليل النص الشعرى، والكشف عن رموزه وتقويمه فى ذاته تقويماً فنياً خالصاً.

وبعد، فقد استمتعت بهذه الدراسات عندما ألقيت علينا فى قاعة الدرس، وتجددت هذه المتعة عندما عدت لقراءتها بعد ثلاثين عاماً، وإني لأرجو أن يجد القراء ما وجدته وأجده من متعة فنية وعقلية معاً.

مهدى علام مع القرآن الكريم

أ.د. عفت الشرقاوى

المؤلف

فى هذا اللقاء الذى يعبر عن الحب والوفاء لأستاذ جليل، كان له الفضل الأول فى تأسيس قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب - جامعة عين شمس - يسعدنى أن أتحدث عن أ. د. مهدى علام مع القرآن الكريم.

ولقد كان الأستاذ نموذجاً حياً للتمثل العميق لمعانى هذا الوحى الإلهى الكريم، ظاهراً وباطناً، عقلاً وروحاً ووجداناً. وهو تمثل متحضر يكشف عن سمو وسماحة، ووعى عقلى ونفسى عميق بمعانى الهدى العظيم. وفى هذا الصدد تجلت آثار الأستاذ الفكرية فى مجالات ثلاثة أشير إليها بإيجاز :

١ - أول هذه المجالات يتمثل فى نشاطه الإعلامى الكبير فى الإذاعة والصحافة، حيث ظل يقدم أحاديثه الدينية فى مسائل اجتماعية وثقافية عديدة، يعالجها بالاعتماد على تفسير الوحى المبين، معتمداً على قدرته الخاصة فى الإفادة من التراث الإسلامى الواسع،

ومناهج علم النفس والتربية الحديثة، من أجل تبليغ الدعوة ومواجهة مشكلات العصر أفضل مواجهة.

٢- أما المجال الثانى فإنه يتعلق بجهود الأستاذ المشتركة فى مراجعة ترجمة معانى القرآن الكريم، وهى الترجمة التى طبعت عن أصلها العربى بجهد وزارة الأوقاف في كتاب بعنوان : المنتخب فى تفسير القرآن الكريم. وكان الأستاذ يؤمن بضرورة تيسير الاطلاع على القرآن الكريم، وعلى تفسيره، لمن يرغبون فى ذلك ممن ليست لهم معرفة بالعربية، وخصوصاً المشتغلين بالدراسات الدينية المقارنة فى اللغات الأجنبية.

ومن قبل كان للدكتور مهدى علام نشاط علمى واسع فى مجال ترجمة النصوص القرآنية إلى اللغة الانجليزية، أثناء إقامته بانجلترا، حيث قدم عدداً من الدراسات الإسلامية بهذه اللغة، تعتمد فى معظمها على ترجمة معانى القرآن الكريم. وقد كان ذلك معيناً للذين أسلموا حديثاً، أو الذين يريدون أن يبدءوا مسيرتهم مع الإسلام، أو يتابعوا هذه المسيرة، خلال الترجمة الأمينة لمعانى القرآن الكريم.

وكان الدكتور مهدى علام يوضح فى كل حال أن ما يقوم به من

ترجمة معانى القرآن، إنما هو من قبيل ترجمة التفسير. ولقد كان هناك فى مطلع القرن العشرين من يعارض هذه الترجمة ظناً منهم أن هذه الترجمة تقدم على أنها ترجمة حرفية للقرآن. ومع أن ذلك محظور، ومستحيل، لأنه غير ممكن، فقد وصفت محاولات الترجمة آنذاك على أنها «حدث الأحداث»، باعتبارها ترجمة حرفية للقرآن، وليست لمعانيه، كما يفهما المترجم.

لكن فكرة ترجمة معانى القرآن ظلت تعلو وتترجح رويداً رويداً، منذ بداية القرن الماضى بفضل تفسير علماء مدرسة المنار الذين رأوا أن تحريم مثل هذه الترجمة يعد «تقصيراً فى إبلاغ الدعوة، وحبساً للقرآن عن ساحة المقايسة بالكتب العالمية، واقتصاراً به على الدائرة العربية، وهذا يتنافى مع كون الإسلام ديناً عاماً.

ولقد نشط الدكتور مهدى علام فى ترجمة معانى آيات كثيرة من القرآن خلال إقامته الممتدة فى جامعات انجلترا، بفضل علمه الذى لا يدانى فى العربية والإنجليزية، ولذلك كان أصلح علماءعصره للقيام بهذا الدور الذى يتم فيه التعريف بالإسلام فى بلاد، وبين شعوب، تفتقر إلى هذا التعريف؛ وكثيراً ما كان يؤكد لنا أن الترجمة التى يقدمها ليست هى القرآن الكريم، وإنما هى محاولة لتقديم بعض معانيه باللغة

الانجليزية، وهى لذلك لا يمكن أن تحل في الفهم والشرح محل القرآن نفسه.

٣- وأما المجال الثالث فى نشاط الأستاذ العلمى فيما يتعلق بالأبحاث القرآنية، فقد تمثل فى دراساته العديدة المتصلة بقضايا قرآنية معينة حرص الأستاذ على تبليغها للناس، من ذلك بحثه عن نظرية الوسط في الفضيلة، فهو يربط بين الأخلاق والدين، وبين الأخلاق والسعادة، ويوضح أن الفضيلة فى الإسلام هى وسط بين طرفين، فالتطرف رذيلة فى الإسلام، وهذا هو المقياس الذي وصل إليه الفلاسفة من قبل، على الرغم من أن البيئة العربية لم تعرف هذه الفلسفة قبل العصر الإسلامى، كما هو معترف به عند مؤرخى الفلسفة جميعاً.

تفسير ذلك فى رأى الأستاذ أن كل فكر مستقيم، أو دين سام يجب أن يكون تشريعه الأخلاقي والاجتماعى صادراً عن مثل هذا الرأى أى الوسطية وعدم التطرف، فهذا هو الرأى الصائب الذى لا يستقيم بغيره دين ولا عمران؛ فلم يكن غريباً إذن أن القرآن والحديث يأمران بالوسط ويجمعان عليه، بل كان يكون من الغريب المدهش ألا يفعلا ذلك، لأن الإسلام دين يتفق والفطرة السليمة.

ويقدم أستاذنا فى مناسبات أخرى دراسات موضوعية فى بعض المسائل القرآنية. من ذلك بحثه عن «العفو فى القرآن الكريم»، وهو دراسة قيمة تقدم نموذجاً فى التفسير الموضوعى للقرآن، فى وقت لم يكن قد التفت كثير من المفسرين لمثل هذا المنهج الموضوعى. وهذه طريقة أخرى فى تفسير آيات القرآن الكريم غير الطريقة المعروفة فى كتب التفسير المتسلسل سورة بعد سورة، على أساس ترتيبها فى القرآن الكريم، بل إن التفسير الموضوعى يستعين فيه المفسر بالوقفة الأولى عند آيات موضوع معين، ليتبّين بنظرة مستأنية معانى هذه الآيات، ويعرف النسبة بين بعضها وبعض، فيتجلى له الحكم، ويتبين ما تهدى إليه الآيات الواردة فى الموضوع فى جملتها العامة.

وموضوع : العفو فى القرآن الكريم، مثل طيب فى هذا الصدد نشر قبل أن ترتفع الدعوة إلى التفسير الموضوعى لآيات القرآن الكريم بين المفسرين وقد قدم أولاً باللغة الانجليزية على ملأ من أهل العلم بجامعة مانشستر.

ولقد كان لكتابة هذا البحث فى أول الأمر بالانجليزية أثره الواضح فى منهجه، ويبدو ذلك فى اختيار الموضوع، وفى تركيزه الشديد، وفى ابتعاد المؤلف عن التكثر بالبحث اللغوى فى مترادفات العفو، فهناك فى

هذه البلاد الغربيّة، حيث يشتد الإيمان باختصاص بعض الأديان الأخرى بالسماحة والدعوة إلى المحبة، والحث علي السلام، ومقابلة الإساءة بالإحسان، وينظر إلى الإسلام على أنه دين القصاص والانتقام، يصبح توضيح قضية العفو فى الإسلام مطلباً أساسياً لكل داعية. وهو مطلب أساسى له قيمته، وله صعوبته من حيث النفاذ إلى ضمائر المستمعين، وإقناعهم بأن حرص الإسلام على تحرى العدالة فى الناس، يرتبط به فى الوقت نفسه دعوته إلى التراحم والسماحة والعفو، ارتباطاً أساسياً. تدل على ذلك الشواهد القرآنية الكثيرة التى حللها الأستاذ الكريم تحليلاً بلاغياً رائعاً، فكشف من جديد عن وجه عظيم من وجوه الإعجاز القرآنى. وخلاصة ذلك أن الدعوة إلي العدالة فى التعامل بين البشر فى القرآن الكريم، لم تخل مطلقاً من الدعوة إلى السماحة والعفو، فربما كان فى ذلك العفو أفضل عقوبة تقع بالمخالفين، بل ربما صار هذا المخالف ولياً حميماً مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ادفع بالتى هى أحسن، فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم﴾.

مع الأستاذ

« ذكريات من قاعة الدرس »

د. طارق شلبى

«إذا وصلنا إلى الفرقة الرابعة فسيدّرس لنا الدكتور مهدى علام» النحو . كثيراً ما كُنّا نردد ذلك، وكأن هذا الأمر - فى ذاته - حافز لمواصلة الدراسة بنجاح!

واسم الدكتور «مهدى علام» لم يكن غريباً علينا، من لدن بدء الدراسة، فمن التحقوا بقسم اللغة العربية برغبتهم، وإشباعاً لميولهم - وكانوا آنذاك معظم الطلاب ! - عرفوا هذا الرجل، فحين كان الواحد منهم يلم بشئ من تاريخ القسم والكلية يعلم أنهما لا يمكن أن يؤرّخ لهما بمعزل عن هذا المؤسس العظيم.

ولم يكن ذلك السبب الأول لمعرفتنا المبكرة به - عليه رحمة الله -؛ فقد كوّنّا صورة له غنية بالتفاصيل من مجموع أحاديث أساتذتنا الأعلام الذين تعلمنا على أيديهم، وذلك حين كانوا يقصون علينا أطرافاً من سيرته وذكرياتهم معه. وكان لهذه الأحاديث والذكريات ما لها من تأثير على أصحاب الطموح من الطلاب، وقد مثلت الرغبة فى أن يكونوا امتداداً

لهذا الأصل الطيب واحدة من أغلى أمانيهم. لقد تعلمنا آنذاك كيف يكون أثر الأستاذ على التلميذ، وتبلورت لدينا معالم لقدوة جديرة أن تتبع، ونموذج جدير أن يحتذى.

وجاء اليوم الذى انتظرناه عبر ثلاث سنوات كاملة، وأقبل علينا الدكتور مهدى علام : أستاذ كبير تلوح عليه أمارات الشيخوخة، واتخذ مجلسه وأمسك بمكبر الصوت، وألقى التحية بصوت خفيض ووجه بشوش ...

أدرك الرجل بخبرة تربوية تراكمت عبر عشرات السنين وقع هيبته على قلوبنا، وكأنه خشى أن تحول هذه الهيبة دون تحقق تواصل إنسانى لا تستقيم بدونه العملية التعليمية، فكان لا يحدثنا إلا مبتسماً، وقد مازحنا من وقت إلى آخر، يعرض علينا قواعد النحو والصرف عبر الحوار، تساعده على ذلك كله نعمة لعلنا حرمنا منها هذه الأيام؛ وهى قلة أعداد الطلاب !

وسرعان ما أدركنا - بعد محاضرة أو محاضرتين - أن شيخوخة الأستاذ التى تبدو على ملامحه لم تمس شيئاً من ذاكرته، ومهارات تدريسه، يذكر القاعدة وأقسامها وشروطها، ويعرض لنا اختلافات النحاة فى بعض من تفاصيلها، ثم يوازن ويرجح، ويعلل ويبرهن ضارباً أمثلة من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر القديم، متجهاً صوب الأساليب المعاصرة فى الصحافة، وقد يمزج ذلك كله على عمقه وتنوعه

وتشعبه بملاحظاته التى كونها عن تعليم العربية لغير الناطقين بها، مما كان له أثر واضح فيمن عمل بهذا المجال فيما بعد من تلاميذه.

قد تعلمنا من الدكتور مهدى علام الرقى فى التعامل؛ فإذا رغب أحد الطلاب فى الحديث أذن له بقوله : تفضلْ ! ثم يشكره إذا أنهى حديثه، ويصبر عليه مبتسماً إذا أخطأ فى هذه القاعدة أو تلك.

وربما تحدث الدكتور مهدى علام عن بعض أساتذتنا الذين هم تلاميذه، فلا يذكر الواحد منهم باسمه مجرداً دون لقب، ولا يذكره دون أن يثنى عليه، لا أكاد أستثنى واحداً لم يجر ذكره على لسان الدكتور مهدى علام على هذا النحو.

أما عن امتحان نهاية العام كله - ولم يكن فى نهاية الفصل الدراسى - فقد جاء كاشفاً عن اهتمام بالجانب التطبيقى فى دراسة النحو، امتحان لم يختبر مدى «حفظ» القواعد عن ظهر قلب، بل جاء لينبه إلى ضرورة التساؤل المستديم حول طبيعة الإفادة منها، فهما للنص أولاً وضبطاً لكتابته وقراءته كذلك.

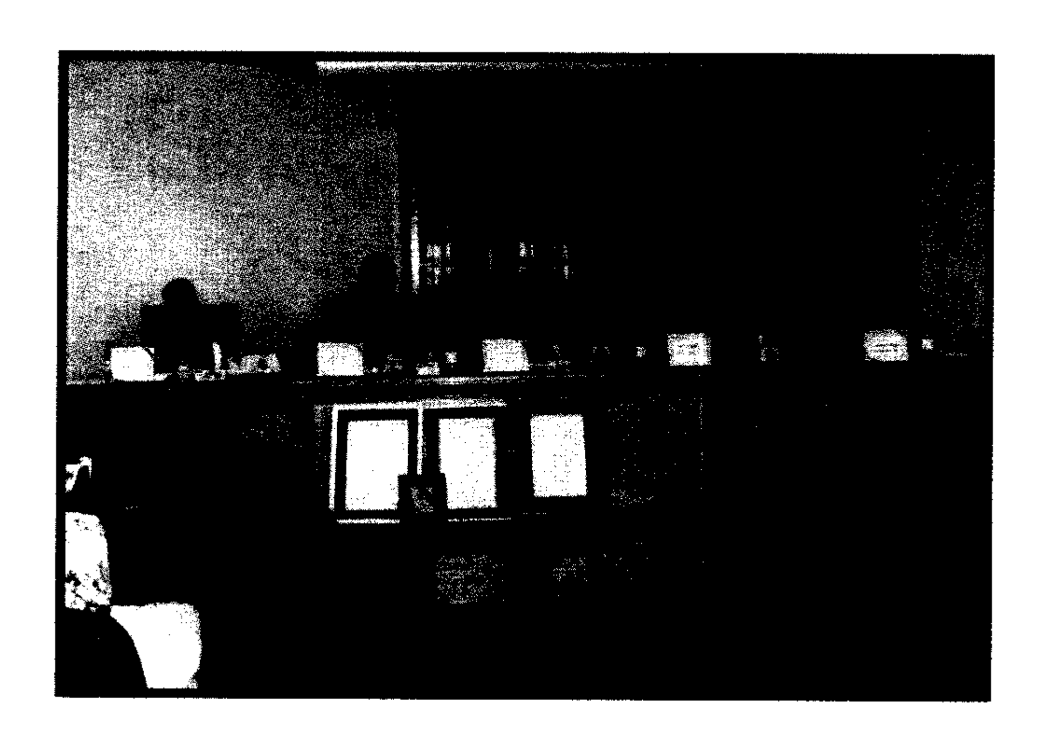
تحية إلى روح الدكتور مهدى علام، وتحية إلى أساتذتى الذين هم تلاميذه.

طارق شلبى

مهدى علام مع المتنبى

د. محمد إبراهيم الطاووس

قسم اللغة العربية



حفل التراث العربى بشخصيات متفردة كان لها آثارها الواضحة فى الفكر الإنسانى، وعطاؤها المتميز الذي سما بها إلى مرتبة الخلود. ويأتى على رأس هذه الشخصيات المتفردة الخالدة أبو الطيب المتنبى فى ميدان الشعر. فهو الشاعر الذى «ترك فى الدنيا دوياً»، و «ملأ الدنيا وشغل

الناس» ، وهو الشاعر ذو العطاء المتميز فى الشعر وفى الفكر مما جعل «منهله العذب كثير الزحام»، فتوارد عليه الناهلون، وتعاقب عليه الدارسون والباحثون من عرب ومستعربين خلال القرون الماضية والحاضرة، ينقبون فى فكر الرجل وعقله، ويستعرضون فَنَّه، وكلما ازدادوا معرفةً به، وفهماً لشعره، ازدادوا إعجاباً بفنِّه، وإكباراً لعقله.

إن الأفق الإبداعى الذى جاء به المتنبى استقطب كل المهتمين بالفن الشعرى منذ القرن الرابع الهجرى حيث عاش أبو الطيب، وما زال هذا الأفق الإبداعى يشدهم جيلاً بعد جيل، ودارساً بعد دارس، وكل جيل، بل كل باحث يُقبل على فن هذا الشاعر المتفرد يتعمق أغواره، ويكشف عن فكره وعقله ما تسعفه به قدراته العقلية والفنية، ومن هنا جاءت آثار الدارسين لشعر المتنبى متفاوتة بتفاوت قدرات أصحابها، فمنها ما توجَّه إلى دراسة فكر المتنبى، ومنها ما جنح إلى استكناه الشفافية الملموسة فى طريقة عرض الشاعر للفكرة وأسلوبه فى إبرازها، ومنها ما قام على دراسة الظواهر اللغوية والصوتية فى شعره، ومنها ما اهتم بالتصنيف (البيبليوغرافى) بعد أن تراكمت الدراسات والأبحاث وتنوعت حول هذه الشاعرية الفذة.

وليس أدلّ على استقطاب الأفق الإبداعى لدى المتنبى لكل المهتمين بالفن الشعرى من أن اهتمام الباحثين والدارسين بالمتنبئ وفنه قد امتد إلى أرجاء الدنيا، فتكاثرت حوله الدراسات والأبحاث واستفاضت وامتلأت جامعات العالم العربى والغربى بالدراسات والبحوث التى دارت حول الرجل وفنه. فقلما خلت جامعة من جامعات العالم من لون من ألوان الدراسات حول أبى الطيب، فضلاً عن الدراسات المشابهة فى أقسام اللغة العربية والدراسات الشرقية فى جامعات العالم. فإذا أضفنا إلي ذلك كله دراسات الهواة غير الأكاديمين الذين غنوا بهذا الشاعر أدركنا مدى ضخامة الإنتاج الفكرى الذى استقطبه فن المتنبى فى عصورنا الحديثة، ومدى صدق المقولة التى أطلقها ابن رشيق القيروانى منذ عشرة قرون حول الشاعر الذى «ملأ الدنيا وشغل الناس».

والمتابع للحركة الأدبية فى مصر والعالم العربى يلحظ مدى العناية الغالبة لدى الدارسين المحدثين بالمتنبى وفنه، والمتمثلة فى هذه الكثرة الكاثرة من الأبحاث والدراسات التى قامت وما تزال تقوم حول الشاعر وشعره، والتى تتفاوت بين دراسات أكاديمية، ودراسات نهض بها الهواة والمفكرون، وجاء أكثرها على مستوى رفيع من التنظير والتطبيق.

وكان من أروع هذه الدراسات الحديثة التى نشأت حول المتنبى وشعره هذه الدراسة التى قام بها أستاذنا الدكتور مهدى عّلام والتى حملت عنوان (فلسفة المتنبى) ونشرها فى العدد الأول من السنة الثالثة لصحيفة دار العلوم سنة ١٩٣٦م. وهى بحق دراسة تنتزع الإعجاب انتزاعاً لما بُذل فيها من جُهْد تجاوز منهج. الجمع والتصنيف إلى منهج الاستنباط والتحليل، فضلاً عن إيثار أستاذنا فى هذه الدراسة لأن ينطلق منْ قاعدة صحيحة وهى أن يَسْبر العلاقة بين شخصية المتنبى وشعره الذى يكشف عن هذه الشخصية. ففى هذه الدراسة عكف سيادته على دراسة شعر المتنبى دراسة متأنية هادفة، بعد أن وقف على كل أخباره وآثاره فى كتب التراث ومصنفات الأدب، وتغّيا من ذلك كله أن يفسِّر شعر المتنبى على ضوء نفسيته وطباعه وسيرته الذاتية، وعلى ضوء العلاقة بينه وبين بيئته ومجتمعه وعصره ليصل فى النهاية إلى فلسفته الخاصة كما عبَّر عنها شعره. وقد استطاع الدكتور مهدى علام أن يفسِّر أهم ملامح نفسية المتنبى وفلسفته :

من ذلك الإحساس بالعظمة والطموح، والتشاؤم، والإيمان بالقوة، وقد وُفِّق الأستاذ أيما توفيق فى تفسير شعر المتنبى وصّحح الكثير من الآراء المتسرعة التى أطلقها بعض النقاد على شعر المتنبى من غير أن

يربطوا بين شعره من جهة ونفسيته ومحيطه من جهة أخرى، وهما المؤثران اللذان جاء شعر المتنبى انعكاساً وصدىً لهما.

وكان من أبرز ما التفت إليه الدكتور مهدى فى دراسته لشخصية المتنبى وفنّه محورية «الأنا» فى شعر المتنبى، فهو لا ينسى نفسه، والتغنى بها، سواء أكان فى موقف مدح لأمير يطمع منه فى العطاء، أو موقف رثاء لعزيز آلمه فقده أو موقف وجدانى، أو موقف هجاء لعدوّ.

فهو يقف أمام الممدوح، فيبدأ بالحديث عن نفسه فيقول :

أنا صخرة الوادى إذا مازوحمتْ .·. وإذا نطقتُ فإننى الجوزاءُ

وإذا خَفيتُ على الغَبىّ فعاذرٌ .·. ألاّ ترانى مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ

ويستمر فى تغنيه بنفسه حتى إذا انتهى من ذلك التفت إلى الممدوح.

وهو يرثى جدته التى كان موتها صدمة قاسية له فيقول :

ولو لم تكونى بنت أكرم والدٍ .·. لكان أباكِ الضخم كونك لى أُمَّا

وهو يتغزل بالفتاة التى أحبها فيقول :

وأشنب معسول الثنيات واضح .·. سترت فمى عنه فقبّل مَفْرقى

وبذلك يعلن ترفعه عن كل وسائل اللهو ومباهج الحياة.

وقد حاول الدكتور مهدى أن يبحث فى أسباب ذلك التعالى والإحساس بالعظمة والشعور بالتفوق لدى المتنبى، وحاول أن يربط بين ذلك ونبوغ الشاعر وتفوقه من جهة، وبين وضاعة نسبه وفقره من جهة أخرى.

والمبدعون - كما تثبت الدراسات النفسية - مدركون اختلافهم عن غيرهم، ويرون فى أنفسهم صورة تبعث على الرضا. وأهم سماتهم قوة «الأنا» والثقة بالنفس، وهذا كله ما عضَّد فى المتنبى الشعور بالتفوق والتعالى وجنون العظمة[1].

وأظهرت هذه الدراسة أن غموض نَسَب المتنبى وفقره وافتقاره إلى ما يفتخر به غَيْرُهُ من كرم الآباء وأصالة الأجداد ووفرة المال، كل ذلك كان له دور بارز فى إحساس المتنبى بالعظمة وفى إعلانه عن عصاميته. وذلك ملاحظ فى شعره فى جميع أطوار حياته: «أوحاه إليه عقله الباطن من صباه، وجاشت به نفسه فى شبابه، ونطقت به حكمته فى كهولته. وجدير بابن السَّقَّاء - كما يقول أستاذنا - إذا طلب المجد، فى مُلْكَ أو ولاية، أو شعر، أن يكون اعتزازه بنفسه وعلو همته، لا بأصله

١- أنظر: القيم الخاصة لدى المبدعين، محيى الدين أحمد حسين ص ٩، والإبداع والشخصية، عبدالحليم محمود السيد، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١م.

وعتـرته، وأن يكون افتخـاره بالمكرمات والفضـائل لا بالآباء والأجداد.
ففى صباه يقول :

أنا تِرْبُ النَّدى، وربُّ القوافى ∴ وسِمامُ العِدى، وغَيْظُ الحَسُودِ

وفى شبابه وكهولته يقول :

لا بقومى شَرُفْتُ، بل شَرُفُوا بى ∴ وبنفسى فخرتُ لا بجدودى

وقد رأى أستاذنا أن انتسـاب المتنبى فى بعض شعـره إلى الضوارى هو إشارة إلى أنه بانى مجد نفسه :

لقد لَعِـبَ البَيْنُ المُشِتُّ بهـا وبـى ∴ وزَوَّدَنـى فـى السَّيْرِ مـا زَوَّدَ الضَّبَّا

ومَنْ تَكُنِ الأُسْدُ الضَّوارىَ جُدُودَهُ ∴ يكـن لَيْلُـهُ صُبْحاً ومَطْـعَمُـهُ غَصْبَا

ولَسْـتُ أُبالـى بعد إدراكـىَ العُـلاَ ∴ أكـان تُراثـاً مـا تناولـتُ أم كَسْـبَا

فَـرُبَّ غُـلاَمٍ عَلَّـمَ المَجْـدَ نَفْسَـهُ ∴ كتعليم سَيْفِ الدولةِ الطَّعْنَ والضَّرْبَا

وأوضح سيادته أن المتنبى قـد ثبت على رأيه فى العصامية حتى آخر حياته، وخلاصة هذا الرأى أن فخر الفـتى ينبغى أن يكون بنفسه وأفعاله قبل فخره بأعمامه وأخواله وعترته :

فَخْرُ الفَتَى بالنَّفْـسِ والأفعـال ∴ مِنْ قَبْـلِهِ بالعَـمِّ والأخـوالِ

لكنه رأى أن المتنبى قد بالغ فى التعبير عن عصاميته إلى الحد الذى لا يحتمله سامعوه عندما أصبحت عصاميته عجباً وتيهاً وصَلَفاً وأثرة وكبرياء. ذلك أنه فى شعره دائماً مُشيد بذكْر نفسه، مُدلّ بنباهته :

- أنا السَّابقُ الهادى إلى ما أقولُهُ ∴ إذ القَولُ قَبْلَ القائلين مَقُولُ
- أنا صَخْرةُ الوادى إذا ما زوحمتْ ∴ وإذا نطقتُ فإننى الجَوْزاءُ
- سيعلم الجمع ممن ضمَّ مجلسنا ∴ بأننى خير مَنْ تَسْعَى به قَدَمُ
- أنا الذى نَظَرَ الأعمى إلى أدبى ∴ وأسمعت كلماتى مَنْ به صَمَمُ
- أنامُ ملء جفونى عن شواردها ∴ ويَسْهَرُ الخَلْقُ جَرَّاها ويختصمُ
- الخَيْلُ والليلُ والبَيْداءُ تعرفنى ∴ والسَّيْفُ والرُّمْحُ والقرطاسُ والقَلَمُ
- وما الدهرُ إلاَّ من رُواة قصائدى ∴ إذا قلتُ شعْراً أصبحَ الدَّهْرُ منشدا
- فسار به من لا يسير مشمراً ∴ وغَنَّى به من لا يُغَنِّى مُغَرِّدا
- يقولون لى : ما أنتَ فى كل بلدة ∴ وما تبتغى؟ ما أبتغى جَلَّ أنْ يُسْمَى
- إن أكن معجباً فَعَجَبُ عجيب ∴ لم يجد فوق نفسه من مزيد
- أنا الذى بَينَّ الإلهُ به الأقدا ∴ رَ، والمرء حيثما جَعَلَهُ
- جَوْهرةٌ تَفْرحُ الشِّرافُ بها ∴ وغُصَّةٌ لا تُسيغُها السَّفلَهْ

ورأى أستاذنا أن هذا الصَّلَف فى عصامية المتنبى هو نتاج «فكرة راسخة تغلغلت فى أعماق نفسه، وتفرغت فى نوُاحى تفكيره، وسيطرت على شعوره وشعره». وهذه الفكرة - كما يقول سيادته - إن شئنا سميناها عقيدة، وإن شئنا سميناها جنون العظمة.

وذهب أستاذنا الدكتور مهدى إلى أن عصامية المتنبى بما تضمنت من خصائص ونتائج، كما عبَّر عنها فى شعره، هى فى الحقيقة محور فلسفته الاجتماعية، وأن من لازمها ما رآه فى الخبرة والتجارب وتفضيلهما على السِّن، أو ما سَّماه أستاذنا «العصامية العقلية» حيث جعل للرأى قيمة أعلى من السِّن كما جعل للمكارم قيمة أعلى من كَرَم المحتد. ورأى أستاذنا أن المتنبى فى ذلك يُقارب مذهب اللّقانة الذى يقول : إن من الأفكار الصالحة ما يَلْقَنُهُ المرء من غير تعليم. ورأى أنه يدنو فى كثير من شعره من مذهب أفلاطون فى الإشراق، أو ما سمَّاه أفلاطون «حنيناً فلسفياً إلى العلم» فهو يقول عن نفسه :

وأَبْصَرُ من زرقاء جَوٍّ، لأننى ∴ متى نظرتْ عيناى ساواهما علْمِى

كأنى دَحَوْتُ الأرضَ مِنْ خبرتى بها ∴ كأنِّى بَنَى الإسكندرُ السدَّيْن من عَزْمِى

ويقولِ فى ممدوحه :

- ويعرف الأمر قبل موقعه .·. فما له بعد فعله نَدَمُ
- مستنبطٌ من علمه ما فى غَدٍ .·. فكأنَّ ما سيكون فيه دُوِّنَا
- عرفتُ الليالى قبل ما صنعت بنا .·. فلما دهتنى لما تزدنى بها علْمَا
- وشيخ فى الشباب، وليس شيخاً .·. يُسَمَّى كلُّ مَنْ بَلَغَ المَشيبَا
- فما الحداثةُ مِن حِلْمٍ بمانعةٍ .·. قد يُوجَدُ الحِلْمُ فى الشُّبَّانِ والشِّيبِ

فالحداثة لا تمنع من الرشد فى الرأى، كما أن تطامن الأصل لا يمنع عظمة النفس كما عبَّر أبو الطيب مراراً فى شعره.

وقد قرَّر أستاذنا أن المتنبى كان أسبق من فلاسفة المسلمين وفلاسفة العالم فى الإعلاء من شأن الرأى والخبرة والتجارب وتفضيلهما على السِّنّ، كما قرَّر أيضاً أن المتنبى كان أسبق من كل هؤلاء إلى لفت الأنظار إلى كهولة الشباب وشباب الكهولة. وفى ما ذهب إليه أستاذنا بهذا الخصوص مبالغة واضحة لأنه بهذا الحكم الصارم جعل أبا الطيب فيلسوف الفلاسفة بل أبا الفلاسفة، وكأن الحكمة والفلسفة كلها قد استجمعت قواها فى المتنبى وحده ولم تتجاوزه إلى غيره من قبل أو من

بعد، ونسى أستاذنا البعد الثقافى فى العالم الإسلامى والإنسانى الذى سبق المتنبى الذى لابد أن يكون قد تأثر به فى شعره.

كما أظهرت الدراسة أن للحُسَّاد الذين أحاطوا بالمتنبئ دوراً فى كثرة تغنيه بنفسه وإحساسه الطاغى بعظمته .. فقد أدرك حُسَّاده مواهبه وقدراته ولكنهم حاولوا تجاهلها أو قلبها إلى رذائل، ومن ثم كان عليه أن يدافع عن نفسه ويبرز محاسن نفسه ويجسمها. والحَسد يُبتَلى به كل صاحب موهبة كما يثبت ذلك علماء النفس وكما تؤيده وقائع الأمور فى كل زمان ومكان [٢]:

وكيف لا يُحْسَدُ امرؤٌ عَلَمٌ ∴ له على كل هامةٍ قَدَمُ

كما يقول أبو الطيِّب

ومن المظاهر البارزة التى كشفت عنها أيضاً دراسة أستاذنا لشخصية المتنبى ذلك الطموح البعيد المدى الذى لا نهاية له عنده. وقد وقف الدكتور مهدى عند هذا المنعطف محللاً ومعللاً ومستشهداً بشعره الذى

١ - أنظر : الصحة النفسية والعلاج النفسى، حامد عبدالسلام زهران، الطبعة الثانية، عالم الكتب، القاهرة ١٩٧٨م، ص ٣٦٢ - ٣٦٥، والشخصية فى سوائها وانحرافها، مصطفى فهمى، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة سنة ١٩٦٦م.

٢ - أنظر : آفاق جديدة فى دراسة الإبداع، عبدالستار إبراهيم، وكالة المطبوعات، الكويت ص ٢٢٩.

يعكس طمــوحــاً لا حــد له، وربط بين طمـوح المتنبى واعــتــداده بذاته وإحساسه الطاغى بعظمته.

فالشعار يخاطب عاذلته التى طلبت منه الراحة والسكون بقوله :

ذرينى أَنَلْ ما لا يُنال من العُلاَ فصعبُ ∴ العلا فى الصَّعْبِ والسَّــهْلُ فى السهلِ

تريدين لقــيــان المعــالى رخــيــصـــةً ∴ ولابد دون الشــهــد من إبَــرِ الــنَّحْــلِ

وهو يرى نفسه من الملوك :

وفــؤادى مــن الملــوك وإن كـــا ∴ ن لســانــى يُرَى من الشـــعـــراءِ

وما يبتغيه لنفسه فى الحياة جَلَّ عن التسمية :

يقولون لى ما أنت؟ فى كل بلدةٍ؟ ∴ وما تبتغى؟ ما أبتغى جَلَّ أَنْ يُسْمَى

وهو يريد من الدنيا مالا تبلغه الدنيا :

أريدُ مِن زَمَنى ذا أن يُبَلِّغنى ∴ ما ليس يَبْلغُـهُ من نفسه الزَّمَنُ

وقـد بينَّ الدكتـور مهـدى أن التـشاؤم من مظاهر شـخـصيـة المتنبى البارزة وأنه صاحَـبَهُ طوال حياته، فبـدا دائماً متشائمـاً متبرماً شـاكياً من كل شئ :

ألاَ ليتَ شعرى هل أقول قصيدةً ∴ فلا أشتكى فيهـا ولا أتعتب

ورأى سيادته أن هذه الشكوى عنده ما هى إلا أثر من آثار نظرته القاتمة للحياة بسبب طبيعته المتشائمة ونظرته السوداوية، وقد زاد من هذا التشاؤم لدى المتنبى وغذاه - كما يقول - خيْبة آماله وتحطم طموحاته على صخرة الواقع :

إذا ما الناسُ جربَّهم لبيبٌ ∴ فإنى قد أكلتهم وذاقا

فلم أر ودّهم إلاَّ خِداعاً ∴ ولم أر دينهم إلاَّ نفَاقَا

وربط سيادته بين إحساس المتنبى بالعظمة وتشاؤمه ودَّلل على هذه العلاقة بين جنون العظمة لديه وتشاؤمه بأبيات من شعره كقوله :

أذاقنى زَمَنى بَلْوَى شرِقتُ بها ∴ لو ذاقها لبكى ما عاشَ وانْتَحبَا

وقوله :

ولو جاز الخلود خلدت فرداً ∴ ولكن ليس للدنيا خليلُ

وقوله :

الدهر يعجب من حملى نوائبه ∴ وصَبْر جسمى على أحداثه الحطم

والعلاقة بين تشاؤم المتنبى وطموحاته الواسعة التى لا تعرف الحدّ - فيما يبدو لى - علاقة وطيدة. فالشاعر يريد أن يصل إلى أهدافه ومقاصده بسرعة فائقة، فإذا اصطدمت آماله بصعوبة من الصعوبات أو عقبة من العقبات صبّ جام غضبه على الدنيا والزمان. والبحث عن العظمة - من الناحية النفسية - قد يكون سبباً للتشاؤم حين لا تتحقق الآمال التى تراود صاحبها ويكون مردود ذلك الخيبة واليأس والذعر والخوف والغضب، أى أن خيبة آمال الطموح قد تدفعه إلى التشاؤم. وقد ربط «فرويد» بين القلق والتشاؤم فذكر أن القلق حالة من الخوف الغامض الشديد الذى ينتاب الإنسان ويجعله يتوقع الشرْ دائماً، فهو يشكك فى كل أمر يحيط به ويخشى أن يصيبه منه ضرر [1].

كما كشفت هذه الدراسة عن جانب مهم من جوانب شخصية المتنبى وهو إيمانه بالبطولة وعشقه للقوة والأقوياء وازدراؤه للضعف والضعفاء. فقد آمن المتبنى - كما يقول أحد الباحثين - بمذهب القوة إيماناً قوياً عميقاً جارفاً غير آبه بالنتيجة، ولو كانت الموتَ الأحمرَ. وهذا الرأى يعززه شعر المتنبى نفسه فى جميع مراحل حياته.

١ - ظاهرة التشاؤم فى الشعر العربى، الدكتور عفيف عبدالرحمن، ص ٣٠.

ومذهبه فى عشق القوة وطيد الصلة بطموحه الطاغى وإحساسه بالعظمة، فهو لا يقنع بالقليل ولا يسعى إلى ما يريد سعياً هادئاً، وإنما سعياً ثائراً قوياً :

- إذا غمرتَ فى شَرَفٍ مَرُوم .·. فلا تقنعْ بمادونَ النُّجُومِ

فَطَعْمُ الموتِ فى أمر حقير .·. كطعم الموت فى أمر عظيمِ

- عِشْ عزيزاً أو مت وأنت كريمٌ .·. بين طعن القَنَا وخَفْقِ البُنُودِ

فرؤوسُ الرِّماحِ أذهبُ للغيـ .·. ـظ وأشفى لغلِّ صَدْرِ الحقود

- وإذا لم يكن من الموت بُدٌ .·. فمن العجز أن تكون جَبَانَا.

ومن مظاهر عشقه للقوة وإيمانه بها رفضه لأن يكون هو نفسه ضعيفاً، وتعنيفه لقلبه الذى ظل محباً لسيف الدولة رغم ما أبداه من تباعد وفتور :

وأعلم أن البين يشكيك بعده .·. فلستَ فؤادى إن رأيتك شاكيا

فالشاعر لا يرضى حتى بينه وبين نفسه أن يبدو أو يظهر ضعيفاً خائر القوى.

وكل هذه النماذج الشعرية تعكس تماماً مدى عشق المتنبى للقوة واحتقاره للضعف والضعفاء والجبن والجبناء.

وعلى كل حال فلا يضير المتنبى أن يكون مصاباً ببعض الأمراض النفسية التى لم يكشفها عصره لقصوره عن ذلك، واكتفى بعضهم بنسبته إلى الجنون واتهمه بعضهم الآخر بالكبرياء. فالدراسات التى أجريت على عبقريات كثيرة تبين إصابتهم ببعض الأمراض النفسية. وتلك الأمراض هى صفة جوهرية فى شخصية العبقرى بحيث لو فرضنا تخلصه منها لكانت النتيجة المحتومة فقدان العبقرية. وقد تناول د. مصطفى سويف هذا الموضوع بتفصيل دقيق مشيراً إلى أسماء بعض العباقرة الذين يعانون من أمراض نفسية وكيف أن ذلك كان نعمة على عملية الإبداع [١].

كما صحّحت هذه الدراسة الخلط الواضح بين الفلسفة وشعر المتبنى الذى يُعتقد أنه يشتمل على تفكير فلسفى، وأكدت أن المتنبى فى حكمه وأمثاله لم يكن فيلسوفاً بمعنى كلمة الفلسفة، إذ ليس له آراء شاملة فى أصل العالم أو الحياة أو الأخلاق، يقوم عليها نظام من الفكر متصل، متماسك، وإنما ما نجده فى شعره هو مجرد خطرات فى الحياة والأحياء تفيض بها تجاربه وتوحى بها أحياناً ثقافته فينطق بها فى مناسبة، وأحياناً

١ - أنظر : الأسس النفسية للإبداع الفنى فى الشعر خاصة، الدكتور مصطفى سويف، الطبعة الثانية، ص ١ - ١٣٣.

بغير مناسبة، فيكتب لها الخلود أنها اكتسبت ثوباً شعرياً جميلاً، وصادفت هوىً فى أفئدة الناس. وهذه الخطرات تنتشر عنده هنا وهناك، لا يجمع بينها سوى نفس الشاعر والجو الذى يسبح فيه ويتشربه. فهو لا يتوفر على تعليل هذه الخطرات ودعمها منطقياً بتؤدة وإسهاب شأن الفلاسفة، ولكنه شديد الاعتقاد بها، شديد الإثبات لها، وكثيراً ما يدعمها بصوره شعرية مؤثرة، أو دليل موجز يقران صحتها فى نظره، بقوة جازمة. وهو كثيراً ما يأتى بحكمه وأمثاله لإيضاح فكرة أو للبرهان عليها.

كما صحَّحت هذه الدراسة أيضاً الخلط الواضح أو التداخل الواضح بين فلسفة المتنبى وأمثاله الذائعة التى اشتهرت عنه، إذ أكدت أن هذه الأمثال لا تخرج عن أن تكون شعراً جميلاً رائعاً، يستمد جماله من روعة الفنّ، ورشاقة التشبيه، وحسن التعليل، وسموّ الخيال، لا من دقة البحث، والنظر فى حقيقة الأمور. فالذى منح الخلود - كما يقرر الدكتور مهدى علام - لقول أبى الطيب :

فإن تَفُق الأنامَ وأنتَ منهم ∴ فإنَّ المسْكَ بعضُ دَمِ الغَزَالِ

ليس إلا التشبيه الجميل اللفظ الجزل.

والذى ضمن البقاء لقول أبى الطيب :

وفي تَعَبٍ من يَحْسُدُ الشمسَ نورُهَا .·. ويَجْهَدُ أن يأتى لها بضَريب

ليس إلا المبالغة الشعرية، وتخيل الممدوح كالشمس أو فوق محل الشمس منزلة.

والذى كتب الشهرة لبيت المتنبى السعيد كما وصفه :

الخيلُ والليلُ والبَيْداءُ تعرفنى .·. والسَّيفُ الرمح والقرْطاسُ والقَلَمُ

ليس إلا هذا الفخر الطموح، فى ذلك اللفظ العذب والجَرْس الحَسَن.

وأظهرت هذه الدراسة أن هذه الأمثال الذائعة فى شعر المتنبى أقحمها الناس خطأ على الفلسفة، وما هى من الفلسفة فى شئ، وإنما هى أبيات تستوى عليها شاعرية المتنبى ولا تستوى عليها فلسفته، أما الشعر الذى تستوى عليه فلسفة المتنبي فهو ذلك الشعر الذى يكشف عن نظرياته ورؤاه وآرائه فى الدين وفى الحياة والناس والمجتمع ونظريته فى الأخلاق والأصدقاء والمال وغيرها.

كما كشف هذه الدراسة عن أن فلسفة المتنبى قد بدأت طموحاً اقتضى اعتزازاً بالنفس وكبْراً، وقامت على العصامية النسبيّة، كما

اعتمدت على العصامية العقلية، وتطرفت هذه العصامية عنده فكانت فى آرائه الدينية زندقةً وإلحاداً، واشتطت فى آرائه فى الدنيا، فكانت غطرسة وتشاؤماً، وتنفسّ ذلك الطموح أحياناً فى الأخلاقيات فرسم صوراً جميلة تتصل بطبيعة النفس الأبيَّة، وإن لم تتصل كثيراً بحياة أبى الطيب.

ومن الأمور التى تحسب لهذه الدراسة أنها صحَّحت الرأى القائل بأن نظريات اليونان وآراءهم عند أرسطو وغيره هى مصدر فلسفة المتنبى، حيث أكدّ فيها الدكتور مهدى أن نفسية المتنبى وتجاربه وإلهامه هى المصدر الأصلى لفلسفته، وليس دراسة الفلسفة أو التأملات فى ماوراء الطبيعة وما وراء الزمان والمكان. وقد ناقش سيادته هذه المصدرية مناقشة دقيقة خلص فيها إلى أنه لم يصح لديه مما استدل به أصحاب هذه الدعوى إلا القليل فى حدود ما قرأ من كتب أرسطو، وقرَّر سيادته «أن حِكم المتنبئ كشاعريته، ثمرة لثقافة واسعة، وتجارب بصيرة، وقدرة على الابتكار والتوليد»، وأنه لم يثبت لديه دليل قاطع «على أن المتنبى قد نقل عمن شاركوه فى الأفكار ممن سبقوه». ولم يستكثر سيادته - كما استكثر الآخرون - على شاعر مثل أبى الطيب ذكاءً وخبرةً أن يقع خاطره على مثل خواطرهم»، ورجّح أن الثقافة والأفكار السابقة له - إسلامية كانت أو مترجمة - قد امتزجت بتجاربه الواسعة، التى أفادها من تنقله فى

أنحاء البيئة الإسلامية، ثم أضاء عليها فكره الوقّاد، فأظهرها لنا فى هذه الصورة الجميلة النادرة، التى نقرؤها اليوم شعراً خالداً، وأيّد سيادته رأيه فى هذه المسألة بأبيات من شعر المتنبى كقوله :

وَجُرْمٍ جَرَّه سُفهاءُ قومٍ .·. وحَلَّ بغير جارمِه العذابُ

وقوله أيضاً :

إذا الجُودُ لم يُرْزَقْ خلاصاً من الأَذَى .·. فلا الحَمْدُ مكسوباً، ولا المالُ باقيا

وكذلك قوله :

ولم أَرَ فى عُيُوب الناسِ شيئاً .·. كنَقْصِ القادرينَ على التّمامِ

ورأى سيادته أن البيت الأول هو ترديد لما نطق به القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ (الأنفال ٢٥)، وأن فى البيت الثانى إلماماً بالمعنى الوارد فى قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى﴾ (البقرة ٢٦٤)، وأن البيت الثالث هو توليد لمعنى جديد أفاده الشاعر من قوله عليه الصلاة والسلام : «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه». ورأى سيادته أن بيت المتنبى القائل :

ومن البليّة عَذْلُ مَن لا يَرعوى .·. عن جَهْله، وخِطابُ مَن لا يَفْهم

هو أثر من آثار الفكر المترجم إلى العربية. فهذا البَيت لدى سماعه يذكّرنا - كما يقول الدكتور مهدِى - بمقولة «سنكا» : «لا تجادل السّفهاء ولا المغفَّلين».

ولا أحب أن أفصّل القول فى التعبير عن كل ما تركتة هذه الدراسة فى نفسى من أثر طيب، وأترك للقارئ المجال ليطلع بنفسه على ذلك الجهد الكبير الذى بذله أستاذنا فى هذه الدراسة التى اتسمت بالشمول وصحة الاستنباط وعمق التحليل وجدية البحث، وسيجد القارئ فى هذه الكلمات القصيرة أننى ما قلت إلا بعض ما علمت من كلاُم أستاذنا حول المتنبى وفنه، ويظل «فوق كل ذى عِلْمٍ عَليم»، وكأنى أشعر وأنا أكتب هذه الكلمات القصار عن صحبة أستاذنا الدكتور مهدى علاَّم للمتنبى، بطيف أبى الطيب يُطل من وراء حجب الغيب، وهو ينشد هذه الأبيات التى قالها منذ أكثر من ألف سنة يفخر بنفسه، وحق له الافتخار :

وما قُلْتُ من شِعْرٍ تكاد بيوتُهُ ∴ إذا كُتِبَتْ، يَبْيَضُّ من نُورها الحِبْرُ

كأنَّ المعانى فى فصاحة لفظها ∴ نجومُ الثريا، أو خلائقُكَ الزُّهْرُ

وما أنا وحدِى قُلْتُ ذا الشِّعْرَ كُلَّه ∴ ولكنْ لشعرى فيكَ من نفسه شِعْرُ

وأخيراً يمكننا القول بأن أستاذنا الدكتور مهدى فى دراسته عن المتنبى

قد وفق أيما توفيق فى تسليط الأضواء على تلك الشخصية الفذة التى ملأت الدنيا وشغلت الناس على حد تعبير ابن رشيق القيروانى. ولا يسعنا فى النهاية أيضاً إلا أن نذكر بما يجمع عليه المهتمون بفن المتنبى وبشخصيته وهو أن هذا الشاعر العملاق المفلق قد ترك شعراً حيّاً نابضاً استطاع أن يصمدَ مئات السنين وتتداولَهُ آلاف الأجيال، وكل جيل يرى فيه نفسه وذاته ومشكلاته، ويرَى فيه أيضاً من المتعة ما يحمله على دراسته والتغنىّ به وترديده، وسيظل هذا هو حال كل الأجيال مع المتنبى وفنّه حتى آخر الزَّمان.

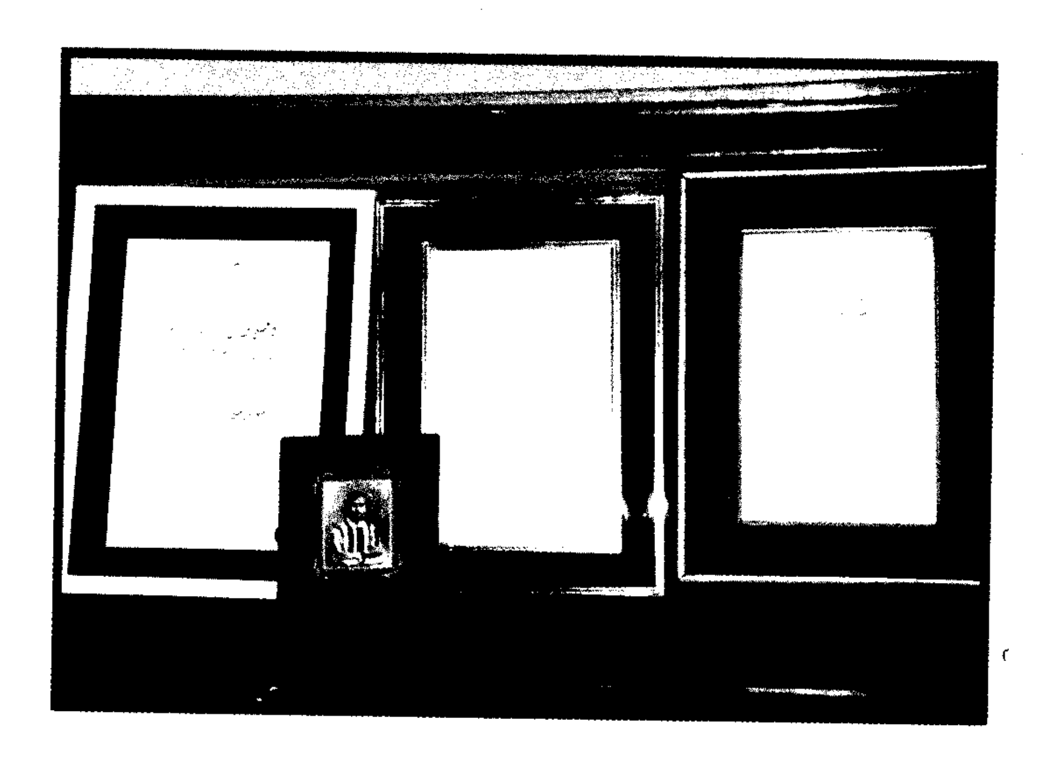
وأخيراً : رَحِمَ اللّه أبا الطيِّب وصاحِبَهُ عَلاَّم ...

الفكر التربوى عند الدكتور مهدى علام

الدكتور / محمد الجريدلى

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبى بعده

على من الحقوق لأستاذى الجليل الدكتور مهدى علام، ما أعجز عن الوفاء به، وهذا موضوع شكر وعرفان له.



لما كان الإنسان هو صانع التقدم فى كل حين، وحسن إعداده تربوياً وعلمياً وثقافياً هو مفتاح التقدم والرقى، فليس بمستغرب أن تكون

التربية هى قمة المؤثرات في قيام النهضة المرجوة، لأن التربية السليمة تدفع إلى المجتمع بمبدعين حقيقيين فى كل المجالات، يعملون على تقدمه ورفعته. وهذا ما عمل له الدكتور مهدى علام، فى كل مسيرته العلمية والعملية.

ونظراً لضيق المساحة سنعبر بسرعة وبنظرة طائرة بتلك المسيرة فى كل من شطريها العلمى النظرى، والتطبيقى العملى، لنرى كيف كانت هذه المسيرة تطبيقاً أميناً لمعتقداته التربوية، فكان بهذا السلوك أعظم مثال لأنجح طرق التربية، ألا وهى التربية عن طريق القدوة، ذلك أن فيها القدوة الإنسانية حية فعالة، تحفز الطلاب إلى العمل لتحقيق هذا النموذج المحتذى فى أنفسهم.

التربية الخلقية هى روح المنهج التربوى عند الدكتور مهدى علام، ولهذا كان حريصاً على إرساء قواعد أخلاقية فى نفس الطالب حتى يطمئن بعد ذلك لسولكه العام فى حياته. فقد فطن إلى حقيقة أن التربية هى أهم وأشمل من التعليم، لأن التعليم يعنى فقط بالجانب العقلى فى الإنسان، بينما التربية الحقيقية لبناء الإنسان السوى تتطلب بناء الجانب الروحى والأخلاقى منه، لأن الله عز وجل قد خلق الإنسان وجعل فى فطرته جانبين متجاورين، جانب إيمانى معنوى، وجانب حسى مادى،

وكلاهما يحتاج للنماء والعذاء، بغذاء مختلف فى حقيقته ومصدره وطبيعته.

بناء هذه الروح الإنسانية فى الرفد السوى تتطلب أن يغرس فى الطلاب ما فى الحياة الإنسانية من ثوابت مطلقة لا تتبدلُ، مكونة لنسق من القيم الرفيعة، وهى ما أصطلح علي تسميته فى المناهج التربوية بالمنهج المستتر، أى المستقر فى النفوس.

هذه القيم الإنسانية المطلقة تكون أبدية، بينما التمدن والتحضر يكون دائم التغير مع الزمن. وفى هذا المجال حدثنى الدكتور مهدى علام عن نظريته فى «كان»، وأنها ليست فعل ماض فقط بل هى للكينونة أيضاً، مستنداً فى صحة هذا الرأى إلى قوله تعالى فى سورة الأسراء : «ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا»، ثم أردف قائلاً : «فهل معنى ذلك أن الزنا كان من الفواحش فى الماضى، وهو الآن غير ذلك؟».

ولكى نقف على قدر السمو فى هذا المنهج التربوى الأخلاقى عند الدكتور مهدى علام، وشدة احتياجنا إليه اليوم، نقرأ معاً بعضاً مما جاء فى كتاب الدكتور «أحمد عكاشة» ثقوب فى الضمير ، الصادر فى مكتبة الأسرة هذا الصيف، يقول فيه : «كلنا يشكو، ولنا جميعاً الحق فى

شكوانا، وإذا كنا نحس أسفاً على ما آلت إليه أوضاعنا الأخلاقية وقيمنا مما يمس الضمير العام، فإننا جميعاً ننسى أن الإصلاح وتدارك الأخطاء وإيقاظ الضمير العام هو مسئولية جماعية تضامنية».

حرص الدكتور مهدى علام على أن يكون منهجه التربوى بين يدى طلابه من خلال كتب مؤلفة، وأن يكون أمام أنظارهم وبصائرهم من خلال سيرته العملية التى كانت تطبيقاً لهذا المنهج. فقدم لنا أستاذنا الجليل أفكاره التربوية فى العديد من المؤلفات لعل أهمها : فلسفة العقوبة، فلسفة الكذب، العفو فى القرآن الكريم - نظرية جديدة (بالعربية والإنجليزية)، الصدقة فى الإسلام (نظرية جديدة - فى غير الزكاة - بالعربية والإنجليزية)، تربية الشباب فى الإسلام (بالعربية والإنجليزية)، علم الأخلاق.

تلك المؤلفات تتضامن معاً لتقدم لنا منهجاً تربوياً أخلاقياً نحن فى أشد الحاجة إليه الآن، ولهذا فإننى أرجو أن نعمل على إعادة نشرها، خاصة كتاب «علم الأخلاق» الذى بحثت عنه فى مكتبات كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، جامعة الأزهر، جامعة عين شمس، وزارة التربية والتعليم، وللأسف لم أعثر عليه، على الرغم من أنه قد طبع عدة طبعات مدرسية كما جاء فى هامش كتاب فلسفة العقوبة.

من الركائز الأساسية للمنهج التربوى الأخلاقى الذى حرص الدكتور مهدى علام على إبرازها فى مؤلفاته، أن «الشرور الأخلاقية يمكن النظر إليها من ناحيتين متقابلتين : من الناحية الداخلية، أى من جهة أنها نقائص فى الخلق، أو من الناحية الخارجية باعتبارها نقائص فى السلوك فبالاعتبار الأول تسمى الشرور الأخلاقية رذائل، أما بالاعتبار الثانى فتسمى خطيئة أو جريمة».

«وقد جعل الإسلام للشر فى القلب من الخطر ما جعل للشر فى الفعل، بل هو قد جعل مناط الخير والشر القلب قبل الفعل، يقول الله عز وجل : ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾. ويقول الرسول الكريم ﷺ : «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل إمرئ ما نوى». وأنا أضيف إلى ذلك قوله تعالى : ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

(الأحزاب ٥)

«هذه الفكرة تعد فتحاً جديداً فى الأخلاق يكاد يكون غير معروف قبل انبلاج فجر الإسلام على العالم، وهى تطبيق دقيق لمعنى الأخلاق، لأن صبغة الخلق الباطنى يندر ألا تصبغ بلونها أعمالنا الخارجية، مهما بقيت مستترة غير بارزة فى صورة عملية».

«على أن هناك نقطة ينبغى أن نتنبه إليها فى هذ البحث، وهى أن العمل الآثم قد يكون أقل شراً من ثلم فى أخلاق المرء، وإن لم تظهر فى عمل الأعمال. فالأمل فى إصلاح الإثم الصريح أعظم من الأمل فى إصلاح الإثم الخفى».

يؤكد الدكتور مهدى علام أن «الحاسة الأخلاقية فى الشخص ذى الضمير الحى تسابق المستوى الأخلاقى لقانون المجتمع، فتحتقر أعمالاً لا يحتقرها القانون. فنكران الجميل مثلاً خطيئة أخلاقية، ولكنها لا تدخل تحت الجرائم المؤثمة فى القانون».

يوضح لنا الدكتور مهدى علام أننا نستطيع أن نحول بين المذنب والجريمة بعزله أو سجنه وتقييد حريته بطرق مختلفة، ولكن مثل هذا العمل لا يؤدى إلى إصلاح الخلق مهما أمكن أن يؤدى إلى إصلاح السلوك، لأن الخلق هو «عادة الإرادة»، فما لم تصلح الإرادة لم يصلح الخلق».

«والضمير هو ما تضمره فى نفسك ويصعب الوقوف عليه. وهو استعداد نفسى لإدراك الخبيث والطيب من الأفعال والأقوال والأفكار، والتفرقة بينها، واستحسان الحسن واستقباح القبيح منها». ولا أجد

أخيراً من التعبير القرآنى العظيم عن الضمير «بالنفس اللوامة»، سواء كان هذا الضمير عاماً أو خاصاً.

والدكتور مهدى علام يرى أنه «ليس ضرورياً أن تكون العقوبة صارمة، فأية عقوبة - مهما بدت ضئيلة بالقياس إلى الذنب - تكفى لتحقيق غرض الإصلاح، متى نجحت فى إيقاظ المذنب من سباته، وأقنعته بأنه من الوجهة الأخلاقية آثم، وأحدثت ذلك الألم المنشود من تأنيب الضمير، وأن التبعة الأخلاقية ليست شيئاً يسهل التنحى والإغضاء عنه».

«ولهذا فينبغى أن يكون الباعث على العقاب روحاً أسمى، هى روح الإصلاح التى لابد لتحقيقها من تلقين درس قاس. وهذه هى الروح التى انطوت عليها فكرة العقوبة الإسلامية. فأخلق بنا أن نعتبر العقوبة عاملاً تابعاً لعامل أصلى أعظم منه خطراً، وأجل قدراً، هو بناء الأخلاق. وما دام هناك قدوة وتقاليد ومثل عليا وضمائر، فالعقوبة ستنزل منزلة أسمى».

وبناء على ما تقدم نستطيع تفهم نظرية الدكتور مهدى علام فى العفو، إذ يقول : «لما كان عمل العقوبة هو أن تشعر المذنب بذنبه، عسى

أن يقوده ذلك إلى التوبة والإصلاح، ومن ثم تصبح الجريمة ملغاة حقيقة أو حكماً. فإذا أمكن الوصول إلى هذه الغاية بوسيلة أخرى أقل كلفة، لم يكن من الحزم الإصرار على استخدام العقوبة. لذلك كان العفو أحياناً صورة من صور العقوبة، بمعنى أنه قد يحقق غرضها من الإصلاح، ولا شك أنه - أى العفو - للصغار ألزم».

«والعفو ليس أصلاً فى المعاملة بين الناس، لأنه قدر زائد على العدالة، لذلك لم يفرضه الله تعالى، بل رغب فيه بشتى الطرق، ولم يأت بصيغة الأمر لكل الناس».

والدكتور مهدى علام يؤكد أهمية الجانب الخلقى فى المجتمع فهو يحذرنا من أنه «إذا غلب جانب الشر جانب الخير فى أمة من الأمم، آذنت شمسها بالغروب. فلابد للأمة التى تحيد عن الطريق السوى فى حياتها الأخلاقية أن تلقى عقابها فى صورة ما.

هذا ما كان - فى عجالة - عن الجانب النظرى من المنهج التربوى الأخلاقى للدكتور مهدى علام. والآن نتناول الجانب العملى التطبيقى لهذا المنهج فى حياته.

لقد حرص أستاذنا الجليل على أن تكون العلاقة بين الطالب وأستاذه،

كعلاقة الابن بوالده، تلك العلاقة المقدسة التى يكون فيها الوالد شديد الحنو على ولده، إذ هو قطعة منه. كذلك الولد يكون فى شدة الحب والطاعة لوالده الذى يرى فيه كل الدنيا وكل طموحاته وآماله. هذه العلاقة الروحية، إن لم توجد فلن تؤتى التربية الأخلاقية ثمارها.

وأنت حين تجلس إلى الدكتور مهدى علام، تشعر بالأمان والراحة وتنعم وتستمتع بصحبته، كأنك أمير صغير بين يدى مُرَبٍّ مؤدب جم التواضع، بالغ الحنو، واسع المعرفة، حاضر البديهة، واضح العبارة. لا يكاد يستشعر حاجتك إلى مثل يوضح ما غمض فيعطيه لك، أو حاجتك للتفسير أو المقارنة أو التفصيل فيلبى لك، يسعفه فى ذلك علم غزير وقلب ودود.

يقول «ابن جماعة الكنانى» فى كتابه «تذكرة السامع والمتكلم فى أدب العالم والمتعلم» : «من شروط المعلم أن يسعى فى مصالح الطلبة، وجمع قلوبهم، ومساعدتهم بما يتيسر عليه من جاه ومال عند قدرته على ذلك. وإذا غاب بعض الطلبة أو ملازمى الحلقة، سأل عنه وعن أحواله، فإن لم يخبر عنه بشئ أرسل إليه، أو قصد منزله بنفسه وهو أفضل. فإن كان مريضاً عاده، وإن كان فى غم خفف عليه، وإن كان مسافراً تفقد أهله وتعرض لحوائجهم».

هذه الصورة من العلاقة بين الأستاذ وطلابه، كما رسمها لنا «ابن جماعة» وإن بدت مغرقة فى المثالية، ويصعب تصورها الآن، فإنها كانت متحققة عملياً وبشكل تلقائى وطبيعى فى الواقع الذى عايشت فيه الدكتور مهدى علام، وهو ما تؤكده الحقائق المعروفة التى سأذكرها بعد ذلك.

حديثنا عن أستاذنا الجليل هو حديث عن الأبوة الخالصة، ذلك أن سيرته العلمية بين طلابه بكل ما فيها من توجيهات وأفعال لا تكاد تخرج عن هذا الإطار الأبوى. فما من طالب علم كانت له الفرصة فى تلقى قدر ولو يسير من فيض علمه إلا وأحس تلك الأبوة الحانية منه، لا يختلف فى ذلك من كان فى مقتبل حياته العلمية أو كان فى قمة نضجه.

هذه الأبوة السخية السمحة، التى تمنح بلا حدود وبلا مقابل، لعلها كانت وراء استنفاد أكثر جهد أستاذنا الجليل فلم يتبق له إلا الجزء اليسير، وهو فى تقديرى السر الكامن وراء قلة ما أخرجه لنا من مصنفات عظيمة تعد علامات بارزة في مناهج الدرس الأدبى والدراسات القرآنية والإسلامية، وفى ذلك النهج تتجلى أعلى مراتب الأبوة الصادقة التى تتركز حول مبدأ العطاء الخالص. فأستاذنا الجليل قد رأى فى طلابه ومريديه أعظم مصنفاته، وهى نظرة غاية فى السمو والنبل والفائدة

للمجتمع، وهذا النهج يخالف أصحاب النظرة الذاتية الذين يضنون بجهدهم ليحتفظوا بكل طاقاتهم لأنفسهم، وأعتقد أن كل تلاميذ هذا الأستاذ الجليل هم مصنفاته التى عكف على إخراجها، فهم مؤلفات من لحم ودم وليسوا من أوراق وأحبار، وهم شهود على هذا العطاء الأبوى، وسجلات تروى لكل ذى عقل وبصيرة كيف تكون الأستاذية الحقة، وكيف يكون العلم مبذولاً خالصاً لوجه الله تعالى، وكما كان يردد دائماً لتلاميذه بأن «زكاة العلم بذله».

والأبوة فى أستاذنا الجليل لا تنصب فقط على عطائه العلمى، بل إن هذه الأبوة الحانية تتجلي فى كل تعاملاته الحياتية، وعلى سبيل المثال فقط سأذكر موقفين حدثا لى للتدليل على ذلك النهج الأبوى، الأول : عندما اتصل بى تليفونياً فى الصباح الباكر ليودعنى قبل سفرى للخارج، وليقول لى كلمات أبوية حانية صادقة، ولا يمكننى وصف أثر هذه الكلمات، ولا أجد لى لغة تستطيع وصف الأحاسيس التى تملكتنى أثناء هذه المحادثة فى ذلك الوقت المبكر. الموقف الثانى : عندما أخفى عنى نبأ وفاة أحد الأساتذة الكبار يوم زواجي، ولم يشأ أن يعلمنى به إلا بعد إتمام مراسم ذلك اليوم مخافة أن يؤثر على فى تلك المناسبة.

أما عن المواقف الأبوية الحانية مع أبناء أخرين غيرى، وكنت شاهداً عليها، فسأذكر ما قل منها ودل حتى لا أطيل.

طلب يوماً أن نذهب لمنزل أحد أبنائه - وهو أستاذ كبير فى مهمة علمية بالخارج - وفى هذه الزيارة أبدى كل الحنان والأبوة الصادقة لابنة الأستاذ - وهى للعلم أستاذة فاضلة بالجامعة- هذا الموقف اتخذه أستاذنا الجليل ليشعر الابنة بأن غياب الأب لا يمنع وجوده هو كأب لها.

موقف آخر حدث فى أحد المؤتمرات العلمية بجامعة القاهرة، عندما أقبل أحد الأساتذة الكبار ليسلم على أستاذنا الجليل وكنت بصحبته، فما إن شاهده حتى رحب به فى حرارة وشوق، لأن هذا الأستاذ كان على رأس إحدى الجامعات العربية، وغاب عدة سنوات لم يلق فيها أستاذنا الجليل، بعد هذا الاستقبال الحار بادر أستاذنا بسؤال الأستاذ عن نجله الذى كان متبعثاً فى الخارج للاطمئنان عليه، وهى لفتة أبوية إنسانية لها دلالتها. ولعل ما ذكره لى أستاذى الدكتور إبراهيم عبدالرحمن من أن أستاذنا الجليل قد ذهب ينتظره فى الميناء يوم عودته من بعثته فى الخارج خير دليل على ما فى أستاذنا الجليل من عطاء أبوى فى تعاملاته الإنسانية مع أبنائه. والمواقف التى أعلمها من هذا اللون كثيرة، وما لا أعلم أكثر.

وما يتصل بهذا الجانب الأبوى من أستاذنا الجليل، ما حكاه لى من أنه كان يقيم فى منزله أمسيات علمية أدبية لطلابه مرة كل أسبوع عندما كان أستاذاً فى دار العلوم، وكانت هذه الأمسيات الأبوية تضم من الطلاب أسماء لامعة أصبح لها شأنها فيما بعد، فمنهم على سبيل المثال لا الحصر الأستاذ «سيد قطب»، والشاعر «محمود حسن إسماعيل» ، والشاعر «محمود غنيم» - وكان حسن الصوت كما ذكر لى، ولذا فقد كان يقرأ بعضاً من آيات القرآن الكريم فى هذه الجلسات - إلى غير ذلك من الأسماء اللامعة، التى حظيت بالتلمذة على أستاذنا الجليل وهم كثير.

هذه الأمسيات الأبوية والتى تجمع الأب بأبنائه فى جلسة دافئة حنون - المفتقدة الآن تماماً - هى شاهد آخر على أبوة هذا الأستاذ الجليل.

وقد يكون من المناسب فى هذا المقام أن أذكر حقيقة قد لا يعلمها إلا القلة، فمن خلال هذه الجلسة الأبوية خرج مؤلف الأستاذ سيد قطب «فى ظلال القرآن»، فقد طلب الأستاذ «سيد قطب» من أستاذه الدكتور مهدى علام أن يبدأ فى تفسير القرآن الكريم لأنه أكفأ من يقوم بهذا العمل فى العصر الحديث، فما كان من الأستاذ إلا أن شجعه ومنحه شحنة ضخمة من الثقة بأن طلب منه أن يقوم هو بذلك العمل وبمعاونته، لأنه لا يجد فى هذه الفترة الوقت الكافى لهذا العمل الكبير، ولا يطمئن إلى أن يجد

الفرصة فى فترة مقبلة لكثرة مشاغله. وبدءاً من تلك اللحظة وبفضل تشجيع الأب بدأ الأستاذ سيد قطب فى وضع مؤلفه الضخم.

وقد سبق أن شجعه على وضع أول مصنف له وهو لم يزل طالباً فى دار العلوم، وهو كتاب «مهمة الشاعر فى الحياة». وقد قام على إخراجه ووضع مقدمة له الدكتور مهدى علام.

ثم أقام فى دار العلوم محاضرة ليتحدث فيها الأستاذ سيد قطب، قال فى تقديمه له : «ولئن كنت قد قدمت المحاضر سيد قطب» بأنه طالب، يسرنى أن يكون أحد تلاميذى، فإنى أقول اليوم إنه لو لم يكن لى تلميذ سواه لكفانى ذلك سروراً، وقناعة، واطمئناناً إلى أننى سأحمل أمانة العلم والأدب من لا أشك فى حسن قيامه عليها».

فى هذا السياق أيضاً يحضرنى ملاحظة طريفة، فقد كنت أشاهد مسابقة رمضانية فى تليفزيون المملكة العربية السعودية فى شهر رمضان من أحد السنين، وكان موضوع المسابقة فى هذه الليلة كتاب الأستاذ سيد قطب «فى ظلال القرآن»، وقبل طرح أسئلة المسابقة تلا مقدم المسابقة نبذة عن تاريخ حياة المؤلف، ولم يذكر فى تاريخ تلقى الأستاذ سيد قطب العلم سوى جملة واحدة هى : «وقد تلقى العلم فى دار العلوم على يد الدكتور مهدى علام».

واستمراراً فى هذا السبيل الأبوى الخالص أذكر حقيقة أخرى، وقد لا يعلمها سوى من عاصرها فقط، وهى كافية للتدليل الحق على هذا النهج الذى نادراً ما يتكرر. حدثنى أستاذى الجليل بأنه دخل حجرته فى دار العلوم يوماً فوجد فوق مكتبه ورقة كتبت فيها قصيدة تتصدرها عدة أسطر تطلب منه قراءة القصيدة، وإن لم تكن على المستوى المطلوب فيرجى أن ينسى ذلك الشئ وكأنه لم يكن، وكانت الورقة بإمضاء الطالب «محمود حسن إسماعيل»، فلما توسم الأب نسمات الشاعر فى تلميذه، أرسل إليه ليهنئه ويبشره بمستقبل زاهر، بل إن الأمر لم يقف عند هذا الحد، وهو كاف لناشئ فى ميدان الإبداع، ذلك أن التشجيع فى هذه المرحلة له فعل السحر فى النفوس، حيث يكون حافزاً للسير بخطى واثقة، أقول إن الأمر تخطى مجرد التشجيع بالكلمات، فقد دعا الأستاذ الجليل إلى عقد مهرجان شعرى حضره أساتذة وطلاب دار العلوم ليلقى فيه الطالب محمود حسن إسماعيل نماذج من شعره، بل أكثر من هذا فإن الأب الحريص على مستقبل ابنه، جمع قصائده وعمل على إخراجها فى ديوان مطبوع، فكان «أغانى الكوخ» أول دواوين الشاعر الكبير. وعند صدور الديوان، عقد حفلاً بدار العلوم لتهنئة الطالب الشاعر، فكانت المرة الأولى التى يكرم فيها أساتذة طالباً لهم فى أى دار

علمى، وفى صورة مهرجان، كل هذا بفضل المشاعر الأبوية التى غرسها أستاذنا الجليل، والتى تعد نبراساً لكل من له فطرة إنسانية سليمة.

هذا الحنان الأبوى الخالص لم يكن من نصيب الطلبة فى مقتبل عمرهم العلمى فقط، بل كان يشمل أيضاً الأساتذة الكبار، فقد ذكر لى أستاذى العظيم «الدكتور مصطفى الشكعة» أن أستاذنا الجليل قد نبهه لأن يتقدم إلى الترقية لدرجة الأستاذية فبادره الدكتور الشكعة بسؤاله بأى الكتب يتقدم؟ فرد عليه أستاذنا الجليل بأن أياً من كتبه يستطيع أن يزكيه لهذه الدرجة، وهذا الرد هو بلا شك تقدير رقيق من أستاذ جليل لأستاذ كبير.

دخل الدكتور ناصر الدين الأسد وكان وزيراً للمعارف فى الأردن حجرة أستاذنا الجليل - بمكتبه بالمجمع وكنت أجلس عنده - واستفسر منه عن إحدى القضايا العلمية، فما كان منه إلا أن قام بكل الأبوة والأستاذية الحقة بإحضار المراجع الخاصة وبدأ يشرح له ما غمض عليه، وهو موقف آخر لهذا العطاء الأبوى الذى لم يقتصر على صغار

ومن معالم احتضان أستاذنا الجليل لأبنائه الطالب أنه ذكر لى أن مكتبته الخاصة - وتحتويها جدران شقة كاملة - كانت المكان الذي أعد فيه كثير من الأساتذة المعروفين بحوثهم العلمية للماچستير والدكتوراه.

ومن المواقف التي يتجلى فيها حب أستاذنا الجليل لأبنائه الطلبة ذلك الحب الأبوى الفطرى، أذكر موقفاً شهدته فى أحد الأيام، فقد حدد موعداً لمناقشة إحدى الطالبات فى درجة الماچستير، وبعد إتمام كل التجهيزات لهذه المناقشة لم يحضر إلى الكلية أحد الأساتذة من جامعة الإسكندرية، وبعد فشل كل الجهود لمعرفة السبب فى تخلف هذا الأستاذ، اتصل أستاذنا الجليل بعميد الكلية لتحديد موعد آخر مع التشديد على التأكد من جدية وصول إعلام واضح للأستاذ، وقد كان يومها متشدداً بصورة لم أعهدها فيه من قبل، ذلك لأنه كان يدافع عن قضية جوهرية، ومبدأ أبوى، وهو وجوب احترام المواعيد، ووضع الظروف النفسية للطلبة فى الحسبان، إذ كيف يوضع الطالب فى هموم الامتحان مرتين دون سبب، وكيف لا يحترم الأستاذ موعداً محدداً لامتحان ما . وعند حضور الأستاذ فى المرة التالية أفهمه الأستاذ الجليل بخطئه دون أن يشعر أحداً بذلك، وفى حجرة مغلقة وعد الأستاذ بالاعتذار فى قاعة المناقشة، وأستاذنا الجليل اتخذ هذا الموقف من منطلق

أن للطالب حقوقاً على أستاذه يجب أن توضع فى الاعتبار، مثل ما للأبناء من حقوق على الأباء، وهو إحساس قد يغفل عنه أكثر الأساتذة.

ومن ملامح الأبوة أيضاً حرص أستاذنا الجليل على طبع صفحات الترجمة التى يدرسها للطلبة وتوزيعها عليهم، وذلك حتى لا يثقل عليهم، ويكونوا متفرغين فقط لأداء الواجب العلمى. هذا مع الأبناء الصغار، أما عن الأبناء الكبار فهو دائم السؤال عن الكتب غير المتوفرة لديهم حتى يزودهم بنسخ منها، وتكون متوفرة عنده.

وأما عن الملامح الأبوية والتى يسبغها على غير تلاميذه المباشرين، فإنى أذكر موقفاً واحداً ليفصح عن هذا الجانب بمنتهى الجلاء. أذكر أن أحد طلاب السنة التمهيدية للماچستير دخل إلى حجرة أستاذنا الجليل وكنت جالساً معه، وكان الطالب يضع بحثاً عن نتاج الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى الشعرى والمسرحى، فأول ما قال الطالب أن الأستاذ الشرقاوى قد رحب به جداً فى مكتبه لما علم بأنه تلميذ للدكتور مهدى علام ووجدها فرصة سانحة ليرسل إليه تحية حارة جداً مع تلميذه، وأضاف الطالب بأن الأستاذ الشرقاوى قد ذكر له بأن عليه ديناً كبيراً لأستاذنا الجليل، ذلك أنه كان أحد الذين وقفوا إلى جانبه فى سبيل

عرض مسرحية له، ولولاه لما خرج هذا العرض المسرحى إلى الوجود.

ولعل ما ذكرت، وهو غيض من فيض، خير دليل على السمة الرئيسية من سمات أستاذنا الجليل، وهى سمات نبيلة وعظيمة كثيرة. أعود فأقول بأن سمة الأبوة الخالصة فى تعامله مع تلامُذته المباشرين، هى أكبر سماته الواضحة.

أما عن تواضعه الجم - وهو تواضع العلماء المخلصين، فإننى أذكر موقفاً واحداً - وإن تكرر أمامى عدة مرات - كنت أحد شهوده وهو كاف جداً للتدليل على هذا الجانب الإنسانى النبيل، فقد وقف الأستاذ الفاضل «الشيخ محمد نائل» العميد السابق لكلية اللغة العربية بجامعة الأزهر، وقف بعد انتهاء حفل استقباله عضواً فى مجمع اللغة العربية يبدى لأستاذنا الجليل أقصى ما يمكن أن يقال فى مجال العرفان بالجميل والوفاء، والدكتور مهدى علام يرد عليه وبمنتهى الصدق، استغفر اللّه يا رجل .. استغفر اللّه ..، لقد كان موقفاً مؤثراً هزنى هزاً، فلئن كان يدل على وفاء من شيخ عالم فاضل، أكبرته كثيراً فى نفسى، فإنه يدل على تواضع جم من أستاذ جليل عظيم.

الحديث عن أستاذنا الجليل طويل .. طويل، ولا يسعنى أن أحيط به، جزاه الله عنا - نحن تلاميذه - خير الجزاء، بقدر ما أعطانا من نفسه ومن علمه، مثلاً حياً للأستاذية الحقة، أبوة، وحناناً، وعفة لسان.

«والله يقول الحق وهو يهدى السبيل».

أستاذ الأجيال، العالم والإنسان

الدكتور / ناصر محمود وهدان

مدرس الدراسات الإسلامية

بتربية العريش - جامعة القناة

تقديم ..



علم من أعلام مصر المعاصرين، وأديب من أدبائها المعدودين، وسفير من سفرائهم المبرزين، أستاذ الأجيال بلا منازع، دائرة معارف تمشى على قدمين، هو البحر ماله شاطئان .. الكتابة عنه - الآن - تحية له عن عطاء كان متجدداً لعدة عقود فى خدمة اللغة العربية والدين، فهو قطب من أقطاب اللغة والتربية يُشار إليه بالبنان خرّج أكثر من ثمانين فرقة من طلابه فظل يواصل العطاء فى مصر والعالم الإسلامى، وجامعات انجلترا وغيرها حتى توفاه اللّه سنة ١٩٩٢.

ولا نخبر بمجهول عندما نقول : إن أبرز خصائصه ذلك الإخلاص الذى يوليه كل معمل يعهد به إليه، فيقبل عليه بكل طاقاته - رغم تقدم السن - حتى يوفيه حقه.

وبهذه الميزة يستحوذ على احترام الجميع، وبخاصة طلابه الذين يحبونه من كل قلوبهم، ويحبهم من كل قلبه فهو معهم بمقام الأب الذى لا يضن على أبنائه بخير، لا مقام الحسيب عن سطوة، المعاقب على هفوة.

هذا إلى ما يميز نتاجه الفكرى من منهجية علمية، لعلها أثر من ثقافاته المتعددة السابقة التى تمكنه من الجولان فى أى ميدان يمس الفكر والنفس وكل ذلك فى صياغة أدبية تؤكد حبه للبيان العربي، وحب اللغة العربية له.

إنه العالم الجليل، أستاذ الأجيال الدكتور مهدى علام عضو مجمع البحوث الإسلامية، ونائب رئيس مجمع اللغة العربية.

مساره العلمى :

* قام بالتدريس فى كلية دار العلوم، وفى قسم التخصص بجامعة الأزهر من (١٩٢٨م) حتى سنة (١٩٣٦م).

* وفى جامعة مانشستر من سنة (١٩٣٦م) حتى سنة (١٩٤٨م) لمدة «١٢» سنة.

* وفى قسم الدراسات العليا لشعبة اللغة الانجليزية بكلية الدراسات الإنسانية بجامعة الأزهر من سنة (١٩٦٢م) حتى سنة (١٩٨٣م) لمدة عشرين عاماً.

* وقد أسهم فى إنشاء كلية لآداب بجامعة عين شمس سنة (١٩٥٠م) وشغل فيها كرسى الأستاذية للغة العربية وآدابها، وكرسى الأستاذية للغة الانجليزية وآدابها فى أن واحد، وكان عميداً للكلية (٧) سنوات من عام (١٩٥٤م) حتى عام (١٩٦١م).

* وحين بلغ سن التقاعد عُين أستاذاً غر متفرغ بها.

* وعمل أستاذاً للنقد بالمعهد من سنة (١٩٥٢م) حتى سنة (١٩٥٧م).

* وقد أشرف على عديد من رسائل الدراسات العليا فى الأدب العربى، والأدب الانجليزى «للماچستير» و «الدكتوراة» منفرداً، أو بالمشاركة.

* كما كان الدكتور : مهدى رئيساً منتدباً لقسم اللغة الانجليزية بمدرسة الألسن عزر افتتاحها فى الفترة من (١٩٥١م) حتى سنة (١٩٦٣م).

* وعُين رئيساً لمجلس إدارة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر من عام (١٩٦٢م) حتى عام (١٩٦٤م).

* ثم عُين مستشاراً لوزارة الإرشاد القومى «الثقافة» من عام (١٩٦٤م) حتى عام (١٩٦٩م).

* وكان مستشاراً للمؤتمر الإسلامى من عام (١٩٥٦م) حتى عام (١٩٦٢م).

* وكان أستاذنا الدكتور مهدى عضواً بالمجلس الأعلى لدار الكتب «دار الوثائق القومية» من عام (١٩٤٩م)، ولأكثر من عشرين عاماً.

* كذلك عمل رئيساً لتحرير مجلة «حوليات كلية الآداب» جامعة عين شمس من عام (١٩٥٠م) حتى عام (١٩٦١م) ونائب رئيس التحرير لصحيفة دار العلوم من عام (١٩٣٤م) حتى عام (١٩٣٧م).

* وكان عضواً فى لجان الفحص للإنتاج العلمى لترقية الأساتذة المساعدين، والأساتذة فى لجان اللغة العربية، والانجليزية بجامعات مصر بما فى ذلك جامعة الأزهر.

* وكان عضواً مؤسساً بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر - منذ نشأته - عام (١٩٦١م) ومقرراً للجنة إحياء التراث الإسلامى فيه.

* وقد عُين الدكتور مهدى عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة فى أبريل سنة (١٩٦٠م)، وانتخب أميناً عاماً له فى ٤/ ٤/ ١٩٧٧م، ثم انتخب نائباً للرئيس فى ديسمبر (١٩٨٣م).

وكان الدكتور مهدى عضواً مؤسساً للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب (ثم العلوم الاجتماعية) منذ نشأته سنة (١٩٥٦م) إلي أن حل محله (المجلس الأعلى للثقافة)، وكان مقرراً فيه للجنة الدراسات الأدبية.

عضواً في المجلس الأعلى للثقافة. ومقرراً لشعبة الآداب فيه، وعضواً بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية. وعضواً بالمجلس القومى المتخصص للثقافة والأدب والإعلام، ومقرراً لشبعة الثقافة فيه. وعضواً بالمجمع العلمى المصرى.

تلك نبذة مختصرة عن «سيرة» - أستاذنا الدكتور / مهدى - العلمية.

تجربة نادرة :

وفى سنة (١٩٣٠م) مر بتجربة نادرة، عندما اختارتهُ وزارة المعارف بناء على طلب من السراى الملكية ليكون معلماً خاصاً للأمير. «فاروق»، ولى العهد وقتئذ، ولقد ظل فى هذا العمل مدة سنة وأكثر قليلاً. وعن هذه الفترة قال لى الدكتور مهدى علام :

«كان المشرف على تربية الأمير : أقصد فاروق» أحد «الباشاوات»، وكان لا يفهم شيئاً عن شئون التربية والتعليم. وكان معى أربعة أساتذة أخرون وكنا نتعاقب يومياً، على هذا التلميذ الذى كان فى حدود الحادية عشرة من عمره. واقترحت على هذا الباشا أن يختاروا خمسة أو ستة من الأولاد فى سن الأمير ليكونوا معه مدرسة خاصة، لتتجاوب غرائزهم، ويتنافسوا بعضهم مع بعض، ويخف عن التلميذ الوحيد ضغط استقباله وحده لخمسة أساتذة كل يوم. وبالإضافة إلى أن هذا الاقتراح كانن معيباً و«مهيناً» من نظر ذلك الباشا، فإننى زدت الأمر سوءاً عندما قلت : إن هذا النظام كان متبعاً فى تعليم أولاد الخديوى «عباس حلمى الثانى»، وبذلك اتضح أن آرائى ثورية. وانتهت مدة انتدابى للتدريس للأمير.

لقد كانت أعارض فى تزييف التاريخ الذى طُلب منِّى بأن يكون الملك «فؤاد» هو الذى ولِّىَ الملكَ بعد الخديوى «إسماعيل» والده. ولما قُلتُ : ماذا أفعل «بتوفيق، وعباس الثانى، وحسين كامل»؟!، قيل لى بكل جُرأة : اقطع الأوراق الخاصة بهم من كتاب التاريخ ولما شكوتُ من أن فاروق لم يكن قد رأى من الحيوانات غير الحصان والكلاب القطط، وأن من اللازم أن يزور حديقة الحيوان قالوا : على شرط إخلائها، يوم زيارته من الناس.

ولما قلت، إنه محروم من رؤية الناس، وهذا سيء الأثر عليه، قيل لى: اننى لا أحتفظ بما يجب له من العزلة اللائقة به.

لقد كان معه من الأساتذة المرحوم الأستاذ / شفيق زاهر «للرياضة والرسم». ومستر هاثواى «للغة الانجليزية»، وميسو رابيينا «للغة الفرنسية»، وإبراهيم خيرى باشا «لركوب الخيل»، وباقى المواد الدراسية كانت مسئوليتى وهى «اللغة العربية والثقافة الدينية والتاريخ».

دور الأزهر فى ثورة ١٩١٩م :

أما عن دور الأزهر فى ثورة ١٩١٩م فلقد ذكر الدكتور / محمد نايل، أنه فى حديث عابر بمجمع اللغة العربية، قال الأستاذ الدكتور مهدى علام : لقد كانت ثورة ١٩١٩م تدار قيادتها، ومعاركها من الأزهر ، وقد عُين الشيخ محمود أبو العيون «حكمداراً» للقاهرة.

ومن أبرز خطبه قوله : «الثورة مجنونة لا تعرف التريث».

فلما اعتقل الشيخ أبو العيون، قرر الثائرون تعيين الشيخ محمد عبداللطيف دراز، (حكمداراً) للقاهرة بدلاً منه، فخطب يومها على المنبر وقال : «الحمد لله الذى جعلنى أجن خلف لأحن سلف».

دوره فى ثورة ١٩١٩م :

وكان للدكتور مهدى علام فى ثورة ١٩١٩م، دور بارز وأداء للأمانة التاريخية، واستجابة لبعض الخلصاء الذين رأوا أن السكوت عن هذه الأحداث إخفاء لجزء من التاريخ من حق القراء أن يعرفوه، قرر صاحب هذه الترجمة - بعيداً عن تزكية النفس، ومشهداً ربه تعالى عن تحرى الصدق :

أنه - إبان ثورة (١٩١٩م) - كان العضو الممثل لدار العلوم فى لجنة المدارس العليا التى كانت تعمل فى سرية تامة لتغذية الروح الوطنية فى الشعب، وزنها كانت على اتصال سرى بالمرحوم عبدالرحمن بك، فهمى، السكرتير العام للجنة الوفد المركزية.

وأنها عن طريقه كانت تتلقى توجيهات الرئيس سعد زغلول (وهو فى باريس مع سائر أعضاء الوفد)، هذه اللجنة هى التى كانت تُصدر المنشورات السرية : تكتبها وتطبعها، وتكل لأجهزة خاصة توزيعها فى أنحاء البلاد.

إن كتابة المنشورات «وكذلك الجردة السرية التى كانت تسمى «المصرى الحر». كانت بقلم اثنين من أعضاء هذه اللجنة - مع الاتفاق

على موضوعها - وهما المرحوم «عبدالعزيز عز العرب» مندوب مدرسة المهندسخانة، و «مهدى علام»، مندوب دار العلوم.

وللتاريخ ذكر لى أستاذنا الدكتور / مهدى علام أسماء هؤلاء الأعضاء الذين لم يغب عنهم ولا أسم ممثل مدرسة الزراعة العليا، وهؤلاء هم الأبطال الذى تشرف بأن عمل معهم :

* من مدرسة المهندسخانة، المرحوم «عبدالعزيز عز العرب» مدير بلدية القاهرة الأسبق.

* ومن مدرسة الحقوق، «إبراهيم عبدالهادى»، رئيس الوزراء سابقاً، و «حسين إدريس» المستشار بمحكمة الاستئناف العالى.

* ومن مدرسة التجارة العليا السيد «سُكَّر». الذى لم تطل مدته فانقطع ثم توفى.

* ومثل مدرسة الطب «إبراهيم خليل» و «حلمى الجيار»، طبيان معروفان فى وقتهما.

* ومدرسة الطب البيطرى «حافظ شرف الدين» كبير الأطباء البيطريين سابقاً.

* ومدرسة الصيدلة «حسين النحاس»، صاحب صيدلية ابن النيل سابقاً.

* ومدرسة المعلمين السلطانية «محمود عوضين طه» من كبار رجال التربية.

* والقضاء الشرعى «محمد عبدالرحمن الجذيلى» وكيل الوزارة للشئون الإسلامية بمجلس الوزراء - رحم الله الجميع وأحسن إليهم.

* وأخيراً مدرسة دار العلوم مهدى علام.

فى مجمع البحوث الإسلامية :

أنشىء مجمع البحوث الإسلامية فى سنة ١٣٨١هـ سنة ١٩٦١م بمقتضى القانون رقم (١٠٣) لسنة ١٩٦١م، وقد حل محل جماعة كبار العلماء بالأزهر التى كانت قائمة بمقتضى القوانين السابقة، وهو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية ويتألف من خمسين عضواً - فى بداية أمره - من بينهم عدد من الخارج لا يزد على العشرين ويرأس مجلس المجمع فضيلة الإمام الأكبر شيخ الأزهر.

وقد صدر أول تشكيل للمجمع بالقرار الجمهورى رقم (٦٢٧) لسنة ١٩٦٢م فى ٢٥ من شعبان سنة ١٣٨١هـ (٣١ من يناير سنة ١٩٦٢م) ويتكون من تسعة عشر عضواً أولهم الشيخ محمود شلتوت، شيخ الأزهر سابقاً، ومنهم الشيخ أبو زهرة وكيل سابق لكلية حقوق القاهرة، والدكتور مهدى علام عميد سابق بآداب عين شمس.

وعن نشاط أستاذنا بالمجمع .. شهد سيادته جلسات ومؤتمرات المجمع وكان لأستاذنا صولات فى قاعات المجمع دفاعاً عن اللغة العربية، وكشفاً لآراء واتهامات المستشرقين الملتوية ضُد الإسلام من أمثال المستشرق النمساوى شاخت وغيره، كما حدث فى مؤتمر لاهور بباكستان. وفى إحدى جلسات المجمع كان للدكتور مهدى دور بارز - مع زملائه بالمجمع - فى الرد على القائلين باستعمال الحروف اللاتينية بدلاً من الحروف العربية من المستشرقين وتلامذتهم فى الشرق فكان يفند أراءهم بما عرف عنه من منطقية وحجة وبرهان ناصع.

ومن إقتراحاته بمجمع البحوث الإسلامية : اقتراحه بوضع التفسير الوسيط يقول : وقد قمنا بتحريره عدة سنوات بمساعدة الشيخ أبى زهرة، والأستاذ محمد خلف الله وهو التفسير المنشور الآن.

ثانياً : وضع مجموعة الأحاديث الشريفة الموثقة، ليكون متداولاً، وقضايا على الأحاديث الموضوعة المتناثرة على أيدى الناس.

ثالثاً : وضع كتاب يكشف للإسرائيليات المنتشرة فى كتب التفسير.

وكان السؤال آنذاك هل نحذف الإسرائيليات من التراث ؟

ولم يتم ذلك، واقتصر الموقف على أن يُشير الناشر بتنبيه إلى هذه الإسرائيليات.

بين الدكتور مهدى والشيخ أبو زهرة

وعن ذكريات أستاذنا الدكتور مهدى علام بمجمع البحوث الإسلامية، وعن علاقاته بزملائه فى المجمع ما حدث بينه، وبين زميله المرحوم الشيخ «أبو زهرة». قال لى الدكتور مهدى : «وأنا رئيس لجنة تنظيم المؤتمر الثانى، وكان من قواعد المؤتمر أن يقدم الباحثون بحوثهم مكتوبة فى أى حجم يريدون، على أن يقدموا موجزاً عنه فى حدود ربع ساعة لإلقائه فى المؤتمر، ولكن أبو زهرة - رحمه اللّه - أَبَىَ أن يخضع لهذه القاعدة - أَبَى أن يقدم موجزاً كغيره من أعضاء المجمع، وملعرفتى به - وأنا مقرر المؤتمر - وبإصراره على ألا يُختصر كلامه، سمحتُ له باسم المؤتمر أن يقول بحثه كاملاً.

ولقد ألقاه كاملاً فى أكثر من ساعة كاملة مرتجلاً، كان سلفياً، وصاحب فكرة تقسيم طلبته فى المحاضرة إلى بنين وبنات، وفوق هذا يتمتع بالذاكرة الحافظة - الواعية - رحمه اللّه رحمة واسعة.

فى مجمع اللغة العربية

أنشئ مجمع اللغة العربية بمرسوم ملكى على أثره يتكون المجمع من عشرين عضواً. بتاريخ ١٣ من ديسمبر سنة ١٩٣٢م. كان الأعضاء من

الأعلام التى اختارتها الدولة لتقيم بها البناء الذى يُمثل صرحاً عظيماً، ولينضم إليه من يحل محل من يفقده المجمع سداً للفراغ، واستكمالاً للكيان.

ولقد عُين الدكتور مهدى علام عضواً بالمجمع، ضمن العشرة الذين عينوا فى سنة ١٩٦١م بمناسبة زيادة الأعضاء، وتعديل قانون المجمع.

وللدكتور مهدى علام نشاط موصول فى مجلس المجمع، ومؤتمراته، ولجانه، فهو مشرف على مجلة المجمع، ومقرر للجنة المعجم الكبير، ومقرر للجنة الأدب، ومقرر للجنة التراث، ومقرر للجنة الأصول، وعضو لجنة الطب، ولجنة الهندسة. وهو نائب رئيس المجمع.

ومن أنشطته بالمجمع تعريفه بخمسة وأربعين ومائة رجل من قمم المعرفة المتخصصين فى جميع فروعها، ولاسيما التخص فى محيط المعرفة اللغوية والأدبية، فى اللغة العربية إلي جانب ما يزيد علي عشر لغات حية وقديمة، وذلك من حصيلة خمسين عاماً يطوف بمجلة المجتمع، ومحاضر جلساته، تحدثاً لنعمة الله تعالى عليه - وهذه الرحلة العلمية الشاقة والشائكة اختار لها عنوان هو : «المجمعيون الكرام فى خمسين عاماً».

تلامذته :

أما عن تلامذته فى رحلته العلمية الطويلة، فهم فى كل مكان ذكر لى منهم على سبيل المثال لا الحصر. أولاً فى الأزهر :

* **من بين تلامذته الأزهريين :** الدكتور / حسن عبدالقادر - رحمه اللّه - الذى كان رئيس المركز الإسلامى بلندن، وعضو مجمع البحوث الإسلامية.

الدكتور محمد شمس الدين إبراهيم أستاذ العقيدة والفلسفة المتفرغ بالأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية.

الدكتور محمد السعدى فرهود، مدير جامعة الأزهر سابقاً، وعضو مجمع البحوث الإسلامية الآن مد اللّه فى عمره.

الدكتور محمد رجب البيومى العميد السابق لكلية اللغة العربية بالمنصورة، وكالتاب المعروف.

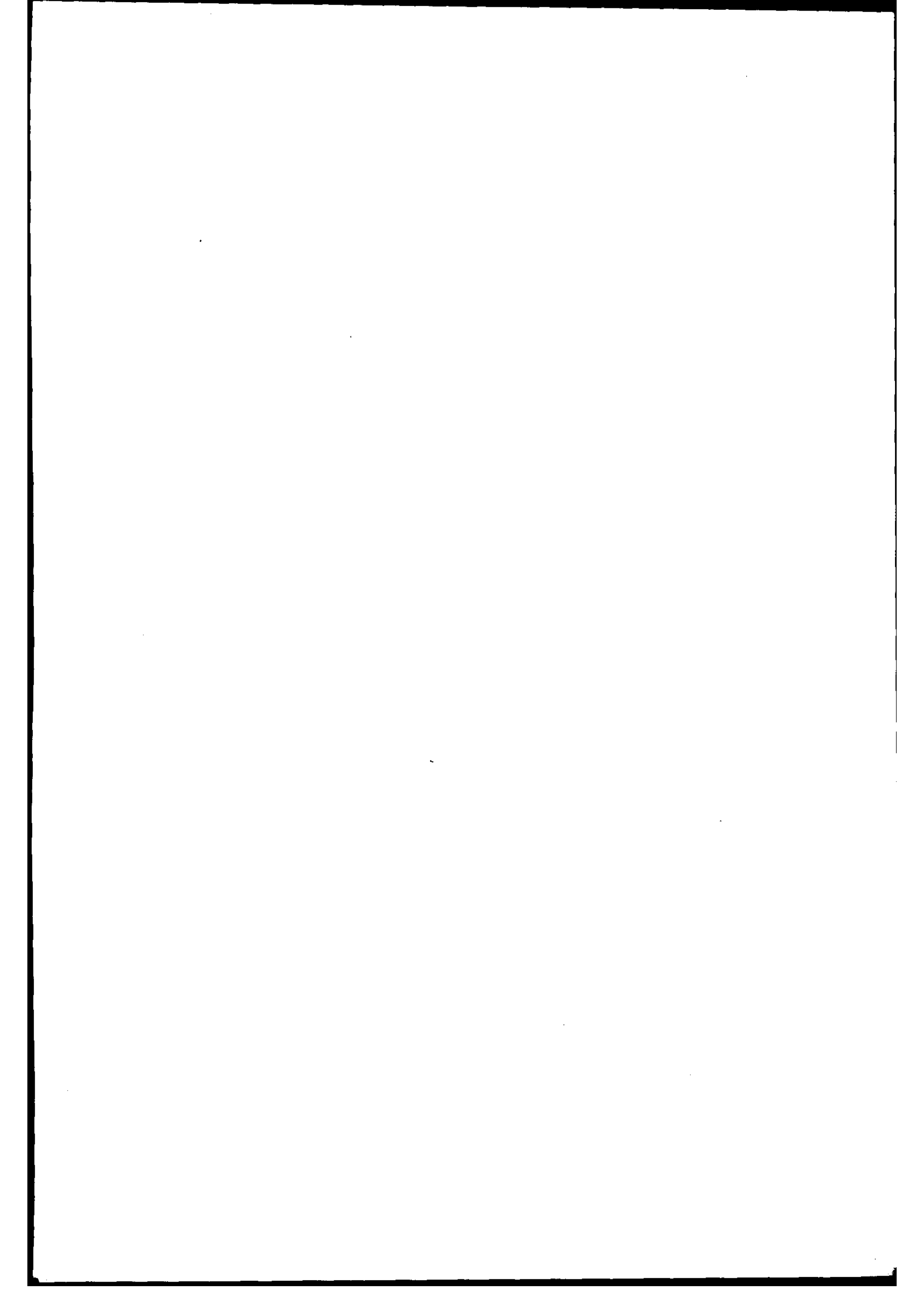
* **أما تلامذته في دار العلوم فمنهم :**

.الدكتور أحمد الحوفى - رحمه اللّه - أول من حصل على الدكتوراه من دار العلوم وصاحب المؤلفات الشهيرة.

الدكتور أحمد أحمد بدوى - رحمه اللّه - الوكيل السابق لدار العلوم والذى كتب عن المستشرق الفرنسى بلاشير.

سيد قطب - رحمه اللّه - وقد قدّم له وهو طالب .. كغيره من الطلاب المتميزين تشجيعاً له كتابه مهمة الشاعر فى الحياة، قال فيه : «وقصارى القراء أن أقول لهم إننى أعد سيد قطب مفخرة من مفاخر (دار العلوم) وإذا قلتُ دار العلوم فقد عنيتُ دار الحكمة والأدب».

الشاعر عبدالغنى حسن - رحمه اللّه - وكان عضواً بمجمع اللغة العربية.



الحريرى للطباعة ٣٢٠١٢٨٥

رقم الإيــداع : ٢٠٠٥/٤٩٤٢